الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

مطبوعة بيداغوجية في مقياس :

# التاريخ السياسي للأندلس

## محاضرات من مقرر السنة الأولى ماستر الغرب الإسلامي في العصر الوسيط


إعداد وتقديم :

د. سليم حاج سعد


السنة الجامعية: 2026/20225م

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة

المقدمة :

يشكّل التاريخ السياسي للأندلس أحد أهم ميادين البحث في تاريخ الحضارة الإسلامية الوسيط، لما يتضمنه من تجارب سياسية فريدة، وتحوّلات عميقة، وتفاعلات معقّدة بين قوى الداخل والخارج، ولما يطرحه من إشكالات تتعلق بطبيعة السلطة، وشرعية الحكم، ووحدة المجتمع، وآليات صناعة القرار، ودور الدين في تشكيل الهويّة السياسية. فالأندلس، على امتداد ما يقرب من ثمانية قرون، لم تكن مجرّد إقليم تابعٍ لكيان سياسي أوسع، ولا مجرد صفحة من صفحات الصراع العسكري بين المسلمين والمسيحيين؛ بل كانت مسرحًا لتجربة حضارية كاملة، نشأت وتطورت وتوسعت وازدهرت ثم ضعفت وانهارت، تاركةً وراءها تراثًا سياسيًا وثقافيًا وفكريًا واسعًا يعكس عمق هذه التجربة وتعقيدها.

لقد جاءت الفتوح الإسلامية في القرن الأول للهجرة لتشكّل بداية مرحلة جديدة في تاريخ شبه الجزيرة الإيبيرية، فأخرجتها من إطار الحكم القوطي المنغلق، وأدخلتها إلى الفضاء الإسلامي الرحب. وبهذا التحول ظهرت في الأندلس بنية سياسية جديدة ذات أصول مشرقيّة وامتدادات مغاربيّة، ولكنها أخذت تتشكّل تدريجيًا وفق معطيات البيئة المحلية، فبرزت شخصية سياسية "أندلسية" لها خصوصيتها التي ميّزتها عن بقية الأقاليم الإسلامية. وهكذا صار تاريخ الأندلس السياسي نتاجًا لتفاعل مستمر بين الإرث الإسلامي المستورد من المشرق، وبين التقاليد الاجتماعية والسياسية المتجذّرة في الأندلس منذ العصور القديمة.

وإن دراسة التاريخ السياسي للأندلس تقتضي – منهجيًا – الوعي بأنّ هذا التاريخ لم يكن خطيًا، بل كان حركة دائبة تعكس توتّرًا دائمًا بين الوحدة والتفكك. فقد مرت الأندلس بفترات قوة مركزية، كما شهدت فترات تشرذم سياسي حاد، وكل مرحلة من هذه المراحل حملت خصائصها، وأثرها في النظام السياسي، وفي الهرم الاجتماعي، وفي العلاقات الخارجية. ولذلك فإن مقاربة هذا التاريخ تفرض قراءة معمّقة للأنساق السياسية المتعاقبة، ودراسة بنية السلطة فيها، وتحليل شروط قيامها واستمرارها وسقوطها.

ولا يمكن فهم التجربة السياسية للأندلس دون الوقوف على حقيقة أنّها كانت دومًا واقعة بين عالمين:

عالم إسلامي واسع في الشرق والغرب، وعالم مسيحي متنوع ومتطور في أوروبا الغربية . وقد أدى هذا الموقع الوسيط إلى تفاعل معقد، جمع بين التنافس العسكري، والتبادل التجاري، والتواصل العلمي، والتحالفات المؤقتة، والصراعات المتناسلة، مما جعل الأندلس في قلب الحراك السياسي والعسكري للبحر المتوسط.

ومن أبرز الملامح التي جعلت التجربة السياسية للأندلس فريدة:

أولًا: خصوصية النشأة السياسية

لقد بدأ الوجود الإسلامي في الأندلس بكيان سياسي تابع للخلافة الأموية في دمشق، ولم يكن في تلك المرحلة قد اكتسب ملامح الاستقلال. لكن هذا الوضع تغيّر جذريًا مع سقوط الدولة الأموية في المشرق وقيام الدولة العباسية. فحين دخل عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) إلى الأندلس، استطاع أن يؤسس مشروعًا سياسيًا مستقلًا، حافظ فيه على الشرعية الأموية، وخلق من خلاله دولة مركزية حقيقية في الغرب الإسلامي. وقد امتاز الداخل ومن خلفه الأمراء الأمويون بقدرتهم على استيعاب تناقضات المجتمع الأندلسي: العرب، البربر، المولّدون، الصقالبة، وأهل الذمة من المسيحيين واليهود، في نظام سياسي واحد.

وقد شكّلت هذه المرحلة حجر الأساس لظهور هوية سياسية "أندلسية" صلبة، قادرة على المنافسة والتفاعل مع القوى الإقليمية في أوروبا وشمال إفريقيا، وهو ما مهد – لاحقًا – لإعلان الخلافة الأموية في الأندلس سنة 316هـ.

ثانيًا: مرحلة الخلافة وبناء الدولة القوية

إنّ العصر الأموي في الأندلس – خصوصًا في عهد عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر – يُعدّ ذروة الدولة الإسلامية في الأندلس. فقد تمكنت الخلافة من بناء جهاز إداري معقد،

وجيش قوي، واقتصاد مزدهر، ومدن متطورة، ومراكز علمية رائدة. وقد ظهرت في هذه المرحلة مقوّمات الدولة المركزية القادرة على إدارة الموارد، وتعزيز الأمن، وبناء التحالفات، وممارسة النفوذ السياسي خارج حدودها.

كما شهدت هذه المرحلة نشاطًا دبلوماسيًا غير مسبوق بين الأندلس والدول الأوروبية؛ إذ تبادلت الخلافة السفراء مع ألمانيا، وفرنسا، وإيطاليا، والدولة البيزنطية. وهو ما يؤكد أن الأندلس لم تكن مجرد دولة تقاتل المسيحيين، بل كانت لاعبًا سياسيًا ودبلوماسيًا فاعلًا في فضاء البحر المتوسط.

غير أن قوة الخلافة لم تمنعها من الانقسام لاحقًا، فقد أدى الصراع على الحكم بعد وفاة الحكم المستنصر، ثم طموحات الحاجب المنصور وورثته، إلى ظهور تصدعات داخلية خطيرة انتهت بانهيار الخلافة نهائيًا سنة 422هـ.

ثالثًا: عصر الطوائف ومنطق التجزئة السياسية

لقد شكل سقوط الخلافة منعطفًا حاسمًا في التاريخ السياسي للأندلس، إذ ظهرت عشرات الدويلات المتنافسة، لكل منها حكّامها ونظامها السياسي الخاص. وتكمن أهمية دراسة عصر الطوائف في أنه يكشف بوضوح أثر الانقسامات الداخلية على مصير الأمة، وكيف يمكن للصراعات المحلية أن تستدعي التدخل الخارجي وتضاعف قوته.

وقد تميزت هذه المرحلة بسمتين مركزيتين:

1. تفكك السلطة المركزية وظهور قوى محلية عديدة مثل بني عباد في إشبيلية، وبني ذي النون في طليطلة، وبني الأفطس في بطليوس.
2. الارتهان للقوى المسيحية الشمالية التي أصبحت تبتز تلك الدويلات بالمال والولاء مقابل عدم مهاجمتها.

إنّ دراسة هذه المرحلة ليست مجرد دراسة للضعف، بل هي درس في كيفية انهيار النظم السياسية حين تفقد القدرة على توحيد المجتمع، وتنظيم الموارد، وتعزيز الشرعية السياسية.

رابعًا: توحيد الأندلس على يد المرابطين والموحدين

يُعدّ تدخل المرابطين نقطة تحول في التاريخ السياسي للأندلس، فقد جاء استجابةً لطلب الملوك الطوائف إنقاذهم من ضغط قشتالة بعد معركة الزلاقة. وقد تمكن المرابطون من توحيد الأندلس والمغرب في دولة واحدة، أعادت قدرًا من القوة إلى الجبهة الإسلامية.

ثم جاء بعدهم الموحدون الذين بنوا دولة عقائدية وسياسية قوية، وأعادوا للأندلس زخمها العسكري، وحققوا انتصارًا مهمًا في معركة الأرك، قبل أن تتراجع قوتهم بعد الهزيمة في معركة العقاب.

ومع كل مرحلة من مراحل الوحدة كان يتضح أن الأندلس لا تستطيع البقاء مستقرة سياسيًا دون ارتباط عضوي بالمغرب، بوصفه عمقها الاستراتيجي.

خامسًا: مملكة غرناطة وآخر أشكال التنظيم السياسي الإسلامي

لقد صمدت مملكة بني نصر بغرناطة قرابة قرنين ونصف، رغم ضعف مواردها، وشدة الضغط عليها من قشتالة وأرغون. ويكشف تاريخها السياسي قدرة فائقة على:

- الموازنة بين القوى الدولية،
- استخدام الدبلوماسية بمهارة،
- توظيف الاقتصاد والعلاقات التجارية مع بلاد المغرب،
- إدارة الصراعات الداخلية،
- والإفادة القصوى من التضاريس الجغرافية.

ومع أنّ غرناطة كانت دولة صغيرة، فإنها قدّمت نموذجًا سياسيًا واقعيًا، يجمع بين البراغماتية، والمرونة، والاعتماد على الأسرة الحاكمة والنخب الإدارية.

لكنّ التحولات الأوروبية الكبرى، وبروز فكرة "ملكية مسيحية موحدة"، واتحاد تاجي قشتالة وأرغون، جعل سقوطها أمرًا محتومًا سنة 1492م، وهو ما أنهى رسميًا الوجود السياسي الإسلامي في الأندلس.

سادسًا: القيمة العلمية لدراسة التاريخ السياسي للأندلس

إنّ دراسة التاريخ السياسي للأندلس ليست مجرد عمل سردي، بل هي تحليل جذور السلطة وبنية الدولة. وتكمن أهميتها في أنها:

1. توضح آليات تشكل الدولة الإسلامية خارج مجالها التقليدي.
2. تكشف دور العصبيات (العرب، البربر، المولّدون، الصقالبة) في بناء السلطة وهدمها.
3. تُبرز أثر الجغرافيا في هندسة السياسة، خصوصًا نظام الثغور.
4. تعكس دينامية المجتمع الأندلسي وقدرته على التفاعل مع التحولات.
5. تكشف طبيعة العلاقات الإسلامية–المسيحية القائمة على الحرب والتحالف والتبادل.
6. تفسر أسباب السقوط من خلال عوامل داخلية قبل الخارجية.
7. تمدّ الباحثين بنموذج سياسي معقد يمكن الإفادة منه في الدراسات المقارنة.

كما أنّ المصادر التي نعتمد عليها – من كتب التاريخ العام، والتراجم، والنوازل، والوثائق، والأدب، والجغرافيا – تُمثل فسيفساء واسعة تجعل من الدراسة عملاً نقديًا موسعًا، لا مجرد جمع روايات.

سابعًا: إشكالات البحث في التاريخ السياسي للأندلس

تواجه دراسة تاريخ الأندلس السياسي عدة تحديات، أبرزها:

- تفاوت جودة المصادر بين مرحلة وأخرى.
- الانحياز السياسي أو المذهبي في بعض الروايات.
- ضياع قسم كبير من المصادر الأندلسية الأصلية، خاصة الوثائق الإدارية.
- اعتماد كثير من الباحثين على المصادر المشرقية التي لم تعايش الأحداث.
- تشتت المادة التاريخية بين كتب الأدب، والتراجم، والفقه.
- وجود فجوات زمنية يحتاج الباحث لملئها بالتحليل المقارن.

ومن هنا تأتي أهمية العمل الأكاديمي المنظم الذي يوحّد المادة، ويعيد ترتيبها، ويقدم رؤية تحليلية حديثة.

ثامنًا: أهمية هذا العمل البيداغوجي

تأتي هذه المطبوعة لتقدّم للطالب والباحث:

- عرضًا شاملًا لتاريخ الأندلس السياسي من الفتح إلى السقوط.
- تحليلًا معمقًا للعوامل التي أسهمت في بناء الدولة أو تفكيكها.
- ربطًا منهجيًا بين التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية.
- تسليط الضوء على دور النخب (علماء، قادة، قضاة، وزراء) في صنع القرار.
- توضيح العلاقة المركّبة بين الأندلس والمغرب من جهة، وأوروبا من جهة أخرى.
- إبراز الأثر الحضاري للتجربة السياسية الأندلسية في الثقافة الإسلامية والأوروبية.

هذه المقدمة ليست مجرد افتتاح للبحث، بل إطار نظري شامل يُراد به أن يهيّئ القارئ لفهم الأحداث في سياقها المتشابك، وأن يدرك أن تاريخ الأندلس السياسي هو ورشة تحليل كبرى، تلتقي فيها السياسة بالدين، والاجتماع بالاقتصاد، والثقافة بالهوية، والصراع بالبناء.

## الفتح الإسلامي للعدوة الأندلسية :

بدأ الفتح الإسلامي للأندلس كما أمر الخليفة في دمشق بجس النبض عن طريق السرايا وأن لا يغرر بالمسلمين في بحر لا خبرة لهم به، فوقع الإختيار على رجل من البربر يدعى طريف بن مالك فأمره موسى بن نصير بشن حملة على الساحل الجنوبي للأندلس، فعبر طريف المضيق على رأس فرقة من 400 من المشاة و 100فارس وذلك سنة 91هـ، ونزل في مكان يسّمى للآن طريفة، وقام بغارة على المناطق المجاورة له، واستولى على كثير من الغنائم ثم رجع إلى المغرب[1].

تأكد موسى بن نصير أخيرا بأنّ بلاد الأندلس ستكون سهلة المنال للمسلمين بعدما عرف ضعف الحكم القوطي، فبدأ يجهز جيشا كبيرا يقدر بحوالي 7000جندي ومعظمهم من البربر، وأوكل قيادة هذا الجيش لطارق بن زياد نائبه على طنجة[2].

**حملة طارق بن زياد سنة 92هـ/711م:**عبر طارق بن زياد المضيق إلى الأندلس في مراكب الكونت جوليان أو في مراكب تجار الروم التي كانت تأتي إلى بلاد المغرب والأندلس، فاستولى على الجبل-الذي حمل اسمه- دون مقاومة تذكر.

عسكر طارق في الجبل وأنشأ خلالها حصنا وقاعدة له كما بنى سورا أحاط جيوشه سماه سور العرب، ثم اتجه شمالا واستولى على بلدة صغيرة تسمى قرطاجنة ثم زحف غربا واستولى على الجزيرة الخضراء ، وجعل منها قاعدة حربية لحماية ظهره عند الانسحاب وأمر طارق جوليان ومن معه بأن يقوموا بحراسة هذه القاعدة والدفاع عنها في حالة قيام القوط بأي هجوم، ثم واصل طارق زحفه نحو الجنوب الغربي حيث عسكر عند سهل مدينة شذونة وأثناء ذلك كان الملك القوطي لذريق مشغولا بإخماد ثورة في شمال إسبانيا، فلما علم بالأمر أسرع بالعودة جنوبا إلى عاصمته طليطلة، فخرج منها على رأس جيش

[1] كمال السيد أبو مصطفى: محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس ، مركز الاسكندرية للكتاب ، الاسكندرية، 2004، ص 30.

[2] أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، الاسكندرية ، 2001، ص 56.

ضخم يقدر بمائة ألف وقيل سبعون ألفا لملاقاة المسلمين، وعندما علم طارق بأنباء تلك الحشود أرسل إلى موسى يطلب المدد، فأرسل إليه خمسة آلاف مقاتل فبلغ جيش طارق أثنى عشر ألفا[1].

زحفت جيوش لذريق جنوبا وعسكرت عند مدينة شذونة حيث التقى هناك بجيش المسلمين ، لمدة ثمانية أيّام (من 28رمضان إلى 5شوال سنة 92هـ/711م)، في موقعة وادي لكة التي انتهت بانتصار ساحق للمسلمين.

بعد ذلك زحف طارق إلى مدينة شذونة واستولى عليها ثم بدأ الزحف شمالا نحو طليطلة عاصمة القوط، وأثناء زحفه استولى على مدينة أستجة وهناك قسّم جيوشه، فبعث فرقة إلى غرناطة واستولت عليها وفرقة أخرى إلى مالقة ، وفرقة ثالثة إلى قرطبة واستولى عليها بعد حصار استمر ثلاثة أشهر[2].

**حملة موسى بن نصير سنة93 هـ/712م:** في رمضان سنة 93هـ /712م عبر موسى مضيق جبل طارق بجيش كبير بلغ 18000 مقاتل جلهم من العرب، ثم زحف غربا وسار في طريق مغاير للذي سلكه طارق، وتمكن من فتح مدن أخرى لم يفتحها طارق مثل قرمونة وإشبيلية وماردة، ثم بدأ يزحف شمالا لمقابلة طارق قرب طليطلة عاصمة القوط، وهنا علم أنّ نصارى إشبيلية قد فتكوا بالمسلمين هناك. واستولوا على المدينة فأرسل موسى ابنه عبد العزيز الذي تمكن من استرداد إشبيلية وإخماد ثورة أهلها، وبعدها كان لقاء الفاتحين[3].

زحف موسى ومعه طارق نحو الشمال الشرقي وفتحوا سرقسطة ووشقة ولاردة سنة94هـ، وتم تقسيم جيشه قسمين: أحدهما بقيادة طارق واتجه إلى شمال إسبانيا حيث

[1] المرجع نفسه، ص 58.

[2] عبد العزيز شهبي : تاريخ المغرب الاسلامي ، كنوز الحكمة، الجزائر، 2013، ص 107.

[3] المرجع نفسه، ص 107.

بلاد البشكنس وتم فتحها، والآخر بقيادته هو واتجه نحو الشمال الغربي حيث منطقة جليقية وقام بفتحها أيضا .

وهنا وصله رسول من الخليفة الوليد يأمره بالرجوع فورا إلى دمشق فاضطر إلى الإذعان حيث التقى بطارق واصطحبه معه إلى دمشق بعد أن استخلف ابنه عبد العزيز بن موسى على ولاية الأندلس سنة 95هـ/714م[1].

[1] ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 66.

**ثانيا : عصر الولاة في العدوة الأندلسية: [97 - 138 هـ / 715 - 755 م].**

وقد تولى على الأندلس خلال هذه الفترة (22) واليًا، حكم اثنان منهم مرتين، وهذا يعنى أن متوسط فترة حكم الوالي تقل عن سنتين، وهذا يعنى أن عدم الاستقرار هو السمة الغالبة على هذه الفترة، ويعود ذلك إلى اضطراب السياسة العامة بعد وفاة «الوليد بن عبد الملك» وانتشار العصبيات القبلية والشخصية، ونزاع العرب مع البربر[1].

**أيوب بن حبيب البلخي:** قتل «عبد العزيز بن موسى بن نصير» والى #الأندلس# عندما وثب عليه جماعة من الجند على رأسهم وزيره «زياد بن عذرة البلوى» أثناء صلاته بأحد مساجد «إشبيلية»، وذلك في (رجب 97هـ = فبراير 716م)، لتبدأ فترة عهد الولاة. وقد آل أمر الأندلس إلى «أيوب بن حبيب البلخى» ابن أخت «موسى بن نصير»، وهو من العرب الذين اشتركوا في فتح هذه البلاد، ولم تزد ولايته على ستة أشهر نقل خلالها العاصمة من «إشبيلية» إلى «قرطبة»[2].

**الحر بن عبد الرحمن الثقفي:** عينه والي أفريقية ، ودام حكمه سنتين وثمانية أشهر، بدأت فى (ذى الحجة 98هـ = جويلية 717م)، واستطاع خلالها أن يقمع المنازعات التي كانت بين العرب والبربر،وقد عزله الخليفة عمر بن عبد العزيز.

**السمح بن مالك الخولانى:** وهو من خيرة ولاة «الأندلس»، فضلا وصلاحًا وكفاءة وقدرة؛ حيث نظم شئون البلاد، وأعاد بناء القنطرة التي كانت مقامة على الوادي الكبير، وقد استشهد في معركة مع النصارى عند «تولوز» يوم عرفة سنة (102هـ = 721م)، فتولى القيادة «عبد الرحمن بن عبد الله الغافقى»، واليًا للأندلس حتى يأتي الحاكم الجديد[3].

**عنبسة بن سحيم الكلبى:** قدم إلى الأندلس سنة 103هـ = 722م، وكان كالسمح بن مالك صالحًا قويا، وقد عبر بجيوشه «جبال البرت»، وتمكن من بسط سلطان المسلمين

[1] موسى لقبال : المرجع السابق ، ص 110.

[2] عبد المجيد نعنعي ، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، دار النهضة العلمية، بيروت ، 1986، ص 85.

[3] ابن عذارى : المصدر السابق، ج2 ، ص 27.

في شرقي جنوب فرنسا، وفى أثناء عودته داهمته جموع من الفرنجة، فأصيب في المعركة، ثم توفى سنة (107هـ = 725م). وبعد «عنبسة» توالى على «الأندلس» سبعة من الولاة بين سنتي (107 - 112هـ = 725 - 730م) تفاقمت خلالها المشاكل، وازدادت الاضطرابات، وانتشر الخلل والخلاف بين الزعماء ورجال القبائل، وتجددت المنازعات بين العرب البلدانيين (وهم العرب الذين طال بهم المقام والعمل في إفريقية حتى سمو بالبلدانيين)، والشاميين[1].

**عبد الرحمن الغافقي:** جمع أعظم جيش سيره المسلمون إلى #فرنسا#، وفتح نصفها الجنوبي كله، إلا أنه استشهد في موقعة #بلاط الشهداء#: سنة (114هـ = 732م) مع جيوش شارل مارتل[2] .

**عبد الملك بن قطن الفهري:** عبر إلى الأندلس في جيش من جند إفريقية في أواخر سنة (114هـ = 732م) وقام بإخضاع القبائل المنتفضة[3] .

**عقبة بن الحجاج السلولي:** تولى سنة (116هـ = 734م) وكان رجلاً عظيمًا مثل «الغافقي»، كان يخرج للغزو كل عام على مدار خمس سنوات في الجنوب والشمال الشرقى من فرنسا، وقد استشهد في معركة مع الأعداء سنة (121هـ = 739م)، فكان خاتمة الولاة المجاهدين وراء البرت.

**عبدالملك بن قطن:** أقام عرب الأندلس «عبد الملك بن قطن» واليًا عليهم للمرة الثانية، فكان عهده بداية عهد من الفتن والاضطرابات والحروب الأهلية؛ إذ اشتعلت ثورة #البربر# بسبب تعصب العرب لبنى جنسهم وتعاليهم على غيرهم، وكان معظم هؤلاء من

[1] مؤلف مجهول : أخبار مجموعة ،تحقيق ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري ، 1989، ص 23.

[2] المقري : نفح الطيب، ج1، ص 298.

[3] عبد المجيد نعنعي: المرجع السابق ص 88.

«القيسية» الذين يرون أن الدولة الأموية دولتهم، على حين كان العرب البلدانيون ومعظمهم من «اليمنية» بعيدين عن هذه النزعة[1].

**أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي:** أرسله والى إفريقية فقدم إلى «الأندلس» في (رجب سنة 125هـ = مايو 743م)، وبدأ ولايته بتأمين العرب البلدانيين والبربر على ممتلكاتهم ومصالحهم، وحال بين الشاميين وبين إيذائهم، وعمل على القضاء على المنازعات القبلية بين السكان، إلا أنه ما لبث أن مال إلى قومه من اليمنية وتنكر للمُضَرية، فعادت المعارك بينه وبين خصومه من جديد، وقتل بعضهم بعضًا، وانفضت عنه جنده، وعمت الفوضى البلاد.

**يوسف بن عبد الرحمن الفهري:** تولى الأندلس سنة (129هـ = 747م) دون مصادقة من إفريقية أو من دمشق التي كانت قد بدأت فترة من الضعف فلم تتمكن الخلافة من الإشراف على الولايات، واستقلت الأندلس بشئونها.

استقل «يوسف» بولاية الأندلس نحو عشرة أعوام، واتفق مع «الصميل ابن حاتم» زعيم المضرية على أن يتداولا السلطة فيما بينهما، لكن الأمور لم تستقر، وتجدد النزاع بين المضرية واليمنية، ولم تستقر الأوضاع ليوسف إلا بعد مقتل زعيم اليمنية سنة (130هـ = 748م)[2].

وفى هذه الأثناء جاء رسول من #قرطبة# بخبر مؤداه أن فتىً من بني أمية يدعى «عبد الرحمن بن معاوية» قد نزل في ثغر المنكب بالأندلس، واجتمع حوله أشياع بني أمية في #غرناطة#، وأن دعوته انتشرت بسرعة في الجنوب، وقد ذاع هذا الخبر في جند يوسف فأحدث فزعًا واضطرابًا، وتفرق عنه جنده، وكان ذلك سنة (138هـ= 755م)[3].

---

[1] ابن عبد الحكم ك المصدر السابق ، ص 298.

[2] عبد المجيد نعنعي : المرجع السابق ، ص 59.

[3] السلاوي: الاستقصا ، ص 53.

وأثناء هذه الفتن استولى الفرنج على جميع القواعد الإسلامية في الشمال ماعدا «أربونة» أمنع قلاع المسلمين فيما وراء جبال البرت، وقد قاوم المسلمون بها، وصبروا على مدار أربعة أعوام، ولم تستسلم إلا بعد خيانة القوط بها، وقد دخلها الفرنج، وخربوا مساجدها ومعاهدها ودورها سنة (142هـ = 759م)، وبذلك انتهى الوجود الإسلامى فيما وراء جبال البرت بعد أن استمر هناك ما يقرب من نصف قرن، وقد حدث هذا في الوقت الذي كانت فيه قوى الإسلام في شبه الجزيرة مشغولة بتمزيق بعضها بعضًا. وقد استفادت المجموعة التي اعتصمت في جبال «استوريا» و«جليقية» في شمالي غرب #إسبانيا#، والتي عرفت بمجموعة «بلاى» من هذا التمزق، وأخذت تنمو مع الزمن، ويشتد ساعدها ابتداءً من القرن الثامن الميلادي حتى صارت شوكة في جنب المسلمين هناك[1].

---

[1] ابن خلدون : المصدر السابق، ج6، ص 98.

## الدولة الأموية في الأندلس[138-422 هـ]

### أوضاع الأندلس قبل قيام الدولة الأموية:

عرفنا أنّه أسندت مهمة تسيير شؤون المسلمين في الأندلس إلى الولاة كما جرت العادة عند المسلمين، وكذلك مع نهاية الفتح مباشرة أي سنة 95هـ/714م، لما غادر موسى بن نصير متوجها إلى دمشق فعين أول والي على الأندلس وهو عبد العزيز بن موسى بن نصير ولقد استمرت فترة الولاة إلى غاية سنة 138هـ/756م وقيام الدولة الأموية. فيا ترى ما هي الأوضاع التي كانت سائدة في الأندلس قبل تأسيسها؟.

باختصار يمكن جمل الأوضاع في النقاط التالية:

1- الخلاف الشديد بين العرب والبربر؛ لاستئثار العرب بالمناصب القيادية وهذا يدخل ضمن النطاق السياسي والاجتماعي.

2- شيوع فكر الخوارج الذي انتقل من المشرق إلى المغرب بعد الضربات الشديدة هناك وراج هذا الفكر بين قبائل البربر مما أدى إلى اتساع الخلاف بين البربر والعرب وتتوج هذا الخلاف بمعركة هائلة بين الفريقين سنة 121هـ/739م عرفت بموقعة الأشراف وسميت كذلك لكثرة ما قتل فيها من أشراف العرب[1].

3- انتقلت العدوى إلى العرب أنفسهم حيث تفرقوا إلى فريقين: عرب الشام (اليمنية) وعرب الحجاز (القيسية) وكانت بينهما ثارات قديمة منذ موقعة الحرة سنة 63هـ/683م ومرج راهط سنة64 هـ/684م.

[1] الضبي أحمد بن عميرة : بغية الملتمي في رجال أهل الأندلس ، تقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1989، ج1، ص32.

هذه النقاط الثلاث تتفق حول مسألة واحدة رغم اختلاف منطلقاتها وانتماءاتها وهي السعي لتحقيق الزعامة، ولقد انظم إلى هؤلاء طرف آخر وهو عبد الرحمان الداخل سنة 138هـ/756م عندما نزل بأرض الأندلس ينشد الإمارة[1].

**أولا : عهد الإمارة الأموية الأندلسية [138 - 316هـ].**

**1 .عبد الرحمن الداخل (138 - 172هـ):** سقطت الدولة الأموية بالمشرق سنة (132هـ)، واضطهد العباسيون الأمويين، وطاردوهم في كل مكان، لكن واحدًا منهم هو «عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك» تمكن من الوصول إلى الأندلس، بعد أن عبر فلسطين ومصر، ثم لحق به مولاه «بدر» الرومي الأصل، ومولاه «سالم» ومعهما شيء من المال والجواهر، ثم وصل «عبد الرحمن» إلى «برقة» والتجأ إلى أخواله من «بني نفزة» - من برابرة طرابلس - فأقام عندهم مدة، ثم غادر إلى المغرب الأقصى، وتجول هناك، متغلبًا على ما قابله من صعاب، وأقام حينًا عند شيوخ البدو، وحينًا عند بعض رجال قبيلة زناتة، وكان أثناء ذلك يدرس أحوال الأندلس، ويرقب الفرصة المناسبة للعبور إليها[2].

وقد اتصل بمعونة مولاه «بدر»، الذي كان قد نزل بساحل «ألبيرة» في كورة «غرناطة» موطن أهل «الشام» بموالى خلفاء البيت الأموي والقرشيين عامة، وبالكلبية اليمنية، خصوم الوالي يوسف الفهري، ثم عبر عبد الرحمن إلى الأندلس في ربيع سنة (137هـ)، ونزل بثغر «المنكبّ» لموقعه الممتاز، وقد التف الناس حوله بما في ذلك جماعات البربر، على أمل أن ينقذهم من الأوضاع المتردية. تقدم عبد الرحمن نحو العاصمة «قرطبة»، وجمع «يوسف الفهري» و«الصميل بن حاتم» ما أمكنهما من قوات، والتقى الفريقان عند «المصارة» أو «المسارة» بالطرف الغربي، وتمكن عبد الرحمن من تحقيق انتصار حاسم، دخل على إثره قرطبة وصلى بالناس الجمعة، وخطب الجند، وعُد ذلك اليوم ميلادًا للدولة

[1] كمال السيد أبو مطفى: دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرية، 1997، ص49

[2] مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس، تقيق لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد ، 1983، ج1، ص111.

الأموية في الأندلس، ولقب «عبد الرحمن بن معاوية» بعبد الرحمن الداخل، لأنه أول من دخل الأندلس من بني أمية حاكمًا[1].

ولم يكن عمر «عبد الرحمن الداخل» حين حقق هذا الإنجاز يتجاوز السادسة والعشرين من عمره، لكنه كان رجل الموقف، شحذت همته الخطوب والمحن، وأعدته لحياة النضال والمغامرة، فقضى بقية عمره اثنين وثلاثين عامًا في كفاح مستمر، لا ينتهي من معركة إلا ليخوض أخرى، ولا يقمع ثورة إلا تلتها ثورة، ولم تبق بالأندلس ناحية أو مدينة إلا ثارت عليه، ولا قبيلة إلا نازعته في الرياسة، فكانت الأندلس طوال عهده بركانًا يشتعل بنيران الحرب والثورة والمؤامرة، لكنه صمد لتلك الخطوب جميعًا، واستطاع بما أوتى من حزم وحسن سياسة وبعد الهمة والجلد والإقدام أن يغالب تلك الأخطار والقوى وأن يقبض على زمام الأمور بالأندلس بيده القوية[2].

وقد تصور اليمنيون أن من حقهم ما داموا قد ناصروا «عبد الرحمن» أن يفعلوا ما يشاءون، فينشروا الفوضى ويستولوا على أموال الناس، ويغرقوا البلاد في مستنقع العصبيات القبلية كما كان الحال من قبل، لكن عبد الرحمن أثبت أنه لا يفرق بين شامي أو بلدي، أو بين بربري ويمنى، فجميعهم يضمهم وطن واحد، وعليهم أن يخضعوا لسلطان العاصمة المركزية.

غير أن تلك السياسة لم تعجب اليمنيين، وعدُّوها لونًا من الجحود والنكران فثاروا عليه، لكنه تمكن من القضاء عليهم في الجزيرة الخضراء، وإشبيلية، وطليطلة، وباجة، معتمدًا على حشود البربر وأهل البلاد وأعوان بني أمية[3].

ولعل من أخطر الثورات التي واجهت عبد الرحمن ثورة «العلاء بن مغيث الحضرمي»، من وجوه باجة ومن ذوى الرئاسة بها، وكان قد كاتب «أبا جعفر المنصور» الخليفة

[1] منى حسن محمود: المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة، دار الفكر العربي ، القاهرة، 1986، ص 45.

[2] ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف ، القاهرة ، 1982، ص 495.

[3] عبد المجيد نعنعي: تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت ، 1986، ص 138

العباسي، واستصدر منه سجلا بولاية الأندلس، وجمع حوله جندًا عظيمًا، ورفع العلم الأسود شعار العباسيين سنة (146هـ)، فاشتعلت باجة بنيران الثورة، وتحالفت «شذونة» مع الثائر، فخرج عبد الرحمن من قرطبة ولجأ إلى الدفاع أولا، فلما ضعف خصمه تحوَّل إلى الهجوم، ونشبت معارك هزم فيها العلاء وتشتت جنده، وقتل الآلاف بما فيهم العلاء نفسه، وحمل عبد الرحمن رءوس الزعماء والقادة وبعث بها إلى القيروان، ووضع رأس العلاء في سفط ومعه اللواء الأسود، وسجل المنصور بتوليته، وحمله بعض ثقاة التجار إلى مكة، وكان المنصور يحج، وألقى هذا أمام سرادقه، فلما حمل إليه قال: «ما في هذا الشيطان مطمح، فالحمد لله الذي جعل بيننا وبينه البحر»[1].

ولم يكن على عبد الرحمن أن يواجه مشاكل الجنوب فقط بل شمالي الأندلس أيضًا، فقد ثار عليه «سليمان بن يقظان» والى «برشلونة» و«الحسين بن يحيى» والى «سرقسطة» فهزمهم. ولما شعر عبد الرحمن بهدوء نسبى، استدعى بني أمية من المشرق، فأقبل إليه كثيرون، استعان بهم في تحمل بعض المسئوليات، لكنه فوجئ بأن من بينهم من ينقم عليه، ويقيم ضده المؤامرات، فاضطر إلى أن يعتمد على المخلصين من موالى بني أمية ومن انضم إليه من أهل البلاد، بالإضافة إلى قوة من الصقالبة اشتراهم صغارًا من بلاد النصارى ورباهم تربية إسلامية عسكرية، وأصبح هؤلاء عنصرًا أساسيا من عناصر القوة السياسية في الأندلس[2].

وتُوفِّى عبد الرحمن في (10من جمادى الآخرة 172هـ) بعد حياة طويلة قضاها فى كفاح متواصل، ومواجهة للصعاب والأهوال، وأقام ملكًا ودولة فوق بركان يضطرم بالثورات والمؤامرات، وأثبت أنه بطل فريد من أبطال التاريخ، لا يجود الزمان بمثله كثيرًا، فتى شريدًا بلا أنصار وأعوان يفر من الموت الذي تعرضت له أسرته، لكنه يستغل ظروف الأندلس فيقودها بكثير من الدهاء والحزم والعزيمة والذكاء، ويقيم دولة على أسس إدارية وسياسية ومالية ثابتة. وأفضل ما تميز به؛ عقله المرتب وأسلوبه المنظم، فقد كان يدرس

[1] مؤلف مجهول أخبار مجموعة، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989، ص66.

[2] خالد الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس، عصر الامارة، منشورات جامعة قاريوس، 1980، ص 36.

مشاكله، ويتلقى أخبار الثورات بجنان ثابت، ثم يرسم خطته للقضاء عليها، ويصفه ابن حيان أمير مؤرخي الأندلس بقوله: «كان راجح العقل، واسع العلم، ثاقب الفهم، كثير الحزم. متصل الحركة لا يخلد إلى راحة، ولا يسكن إلى دعة، ولا يكل الأمور إلى غيره، ثم لا ينفرد في إبرامها برأيه، شجاعًا، مقدامًا..»[1].

### 2. هشام الأول بن عبد الرحمن المعروف بالرضى [172 - 180هـ]

خلف «هشام» أباه «عبد الرحمن» على حكم الأندلس، لما توسَّمه فيه من المزايا الخاصة، وقد أبدى «هشام» لينًا وورعًا، وحسن سياسة، وبصرًا بالأمور، فجذب الناس إليه بإقامته للحق وتحريه للعدل، ومعاقبته للولاة المقصرين. ولم يعكر صفو أيام «هشام» إلا اشتعال بعض الثورات، منها: الثورة التى قام بها أخواه «سليمان» و«عبد الملك»، وانتهت بالصلح سنة (174هـ)[2] على أن يقيما بعدوة المغرب، كما قاد حملة على نصارى الشمال الذين أغاروا على البلاد، فنجح فى القضاء عليهم سنة (175هـ = 791م) ثم تكررت حملاته عليهم، وأهم ما يتميز به عهد «هشام» ذيوع مذهب الإمام «مالك بن أنس»، وحلوله محل مذهب الأوزاعي إمام أهل الشام الذي اتبعه الأندلسيون، وكان الإمام مالك معاصرًا لهشام بن عبد الرحمن، كثير الثناء عليه. وحرصت الإمارة الأندلسية على جعل اللغة العربية لغة الدواوين الرسمية، ولغة الدرس والتعليم، ولم تكن تقبل إلا ما هو عربي، وكان ذلك اتجاهًا عاما سار عليه الأمويون .

وكان هشام يحب مجالس العلم والأدب، وبخاصة مجالس الفقه والحديث، فقرَّب إليه الفقهاء والعلماء، وبوَّأهم أهم المناصب، خلافًا لما كان عليه زمن والده، وقد ترتب على ذلك نتائج سياسية واجتماعية ظهرت فيما بعد[3].

### 3. الحكم الأول بن هشام المعروف بالربضي[180 - 206هـ]

[1] المقري : نفح الطيب ، ج4، ص 30.

[2] حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996، ج 1، ص206.

[3] محمد عبد عنان: المرجع السابق، ج1، ص228.

بدأ «الحكم» عهده بالجهاد ضد البشكنس ، لكنه اضطر إلى تركه لمواجهة الثورات التي اشتعلت ضده في الثغر الأعلى سنة (181هـ). وفى أواخر عهد الحكم اشتعلت في «قرطبة» ثورة عنيفة سميت ثورة الربض، بسبب كراهية «المولّدين» للحاكم، وبغضهم له لصرامته وقسوته، واتهامهم له بممارسة اللهو والشراب، والمبالغة في فرض الضرائب، وقد تأجج لهيب الثورة في الربض الجنوبي المسمى «شقندة» بصفة خاصة يوم (13 من رمضان 202هـ) وتوجه الثوار إلى القصر، وتأهب الحكم ورجاله لردّهم، وقد نجحوا في ذلك، ثم ما لبث أن شقت قوات الحكم طريقها إلى النهر، وعبرته إلى الضاحية الأخرى موطن الثائرين وأضرمت النيران في جوانبها، فأسرع الثوار إلى دورهم، لإطفاء النيران وإنقاذ الأهل والعشيرة[1].

وفى هذه اللحظة أحاط الجنود بالثوار، وأوسعوهم قتلا ومطاردة ونهبوا دورهم، واستمرت هذه المأساة ثلاثة أيام، فرَّ خلالها إلى طليطلة من استطاع، ثم نودي بالأمان بعد أن هدأت الفتنة، ثم أصدر الحكم قرارًا بهدم دور الثوار ولاسيما في الضاحية التي شهدت ميلاد الثورة، فتم محوها تمامًا، ثم أمر بإخراج الثائرين من قرطبة، فتفرقوا في الثغور، وعبر بعضهم إلى العدوة الأخرى بالمغرب، وهاجر بعضهم إلى طليطلة وشمالي غربي الأندلس.

كما ركب نحو (15) ألفًا منهم سفنًا رست بهم في ميناء الإسكندرية، حيث أقاموا فيها، غير أن والى مصر «عبد الله بن طاهر» أجبرهم على الرحيل، فتوجهوا إلى جزيرة «كريت» وفتحوها سنة (212هـ)، وأسسوا بها دولة زاهرة، بقيت هناك إلى أن استولى عليها البيزنطيون سنة (350هـ)[2].

مرض الحكم بعد ذلك، وأخذ البيعة لولى عهده في حياته، وأبدى أسفه لما وقع منه لأهل الربض، ثم توفي في (26 من ذي الحجة 206هـ) بعد أن لُقِّب بالربضي.

### 4. عبد الرحمن الثاني (الأوسط) بن الحكم [206 - 238هـ]

[1] حسين مؤنس: شيوخ العصر في الأندلس، دار الرشاد ، القاهرة، 1997، ص9.

[2] عصام الدين الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1984، ص81.

تولى «عبد الرحمن» الحكم في (27 من ذي الحجة 206هـ) بعهد من أبيه؛ وكان عبد الرحمن منذ صغره شغوفًا بدراسة الأدب والحديث والفقه، ذا عقل مستنير، خبيرًا بشئون الحرب والسياسة، هادئ الطباع، حسن العشرة، متقربًا إلى الناس، حازمًا في أمره، ولهذا كان مؤهلاً لإزالة ما خلفته إمارة أبيه الحكم من آثار سيئة[1].

استأنف عبد الرحمن الثاني برنامجه في الجهاد مبكرًا، فأرسل العديد من الحملات نحو الشمال

غزوات النورمان: هم أهل الشمال ، الذين اشتهروا بجوب البحار ومحاولة التغلب على قسوة الجليد وأهوال الطبيعة، تحملهم سفن صغيرة ذات أشرعة سوداء، تدخل مصبات الأنهار، وتنشئ لها مراكز داخل البلاد، وتغير على المدن وتنهب خيراتها، ثم توقد النيران للتعمية، ثم تهرب مسرعة[2].

وكان ظهور هؤلاء في مياه الأندلس لأول مرة سنة (230هـ)؛ حيث جاء أسطول لهم في ثمانين سفينة، ورسا في مياه «إشبونة» فكتب حاكمها إلى «عبد الرحمن» يخبره بذلك، فنهبوا كل ما وجدوه في طريقهم، ولما لم تكن هناك بحرية تدافع عن تلك المناطق أو استعداد لمواجهة هذا النوع من العمليات، فقد عاثوا فسادًا. وكان لهذه الحادثة دور كبير في نشأة الأسطول الأندلسي[3].

**المتعصبون النصارى يثيرون فتنة في الأندلس:**

تعرضت البلاد في أواخر عهد «عبد الرحمن» الأوسط لفتنة شديدة، أملتها روح التعصب، فقد كره بعض القساوسة والرهبان سيطرة الثقافة واللغة العربية على

[1] ابن حيان: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق محمود علي مكي، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1994، ص158.

[2] المصدر نفسه، ص 170.

[3] المقري : الممصدر السابق، ج2، ص 76.

المجتمع، وانتشار الإسلام، فراحوا يجهرون بسب النبي (صلى الله عليه وسلم) والإساءة إليه، وإهانة المقدسات الإسلامية علنًا وعلى مرأى الناس وفى الطرقات العامة[1].

فاضطر القضاة إلى الحكم بإعدام هؤلاء المتعصبين، وقتل كثير منهم في صيف سنة (237هـ)، فعدهم أحبار النصارى شهداء، وكان هذا هو هدف هؤلاء المتعصبين، وتأزم الموقف، والتهبت نيران الفتنة. واجه «عبد الرحمن» هذه المشكلة بما تستحقه من صبر، فطلب من قادة النصارى عقد مجمع دينى في قرطبة لمعالجتها بحكمة واتزان، فأوضح المجمع عواقب هذا العمل الوخيمة، وأن المعتدلين من النصارى يستنكرون هذا العمل ، وكان من نتيجة ذلك استقرار الأوضاع وعودة الوئام بين المسلمين والنصارى .

توفى «عبد الرحمن» في (3 من ربيع الآخر 238هـ) عن عمر يناهز (62) سنة[2].

ظهرت آثار الرخاء وترف الحضارة فى عهد عبدالرحمن فيما بناه الناس من قصور جميلة، تم تزيينها بالأثاث الفاخر والفرش الوثيرة، والجواري الحسان اللاتي جلبن من المشرق، وانتشرت فى قرطبة البيوت المحاطة بالحدائق المزدانة بالأشجار وأطلقوا عليها اسم «المنى»، وتوسَّع بعض الأغنياء فى الحدائق المحيطة بهذه المنازل حتى أصبحت رياضًا، أطلق عليها اسم «الجور»، وفى كل منها مكان معد لغناء المغنيات.

وامتاز عهد عبد الرحمن بالأمن والسكينة. وازدهار الصناعة والزراعة والتجارة، وازدياد موارد الدولة التي بلغت نحو مليون دينار سنويا مكنت الأمير من الإنفاق على الحملات العسكرية وإقامة المنشآت العامة، كما أشرفت الحكومة المركزية على أعمال الحكام من خلال ديوان المظالم المختص بالنظر في شكاوى الناس من تصرفات بعض رجال الحكومة[3].

[1] مؤلف مجهول: تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، 2007، ص 185.

[2] ابن حيان : المصدر الابق ، ص 171.

[3] المقري : المصصدر السابق ، ج2 ، ص 85..

ونالت إقامة المباني والمنشآت قسطًا عظيمًا من عناية «عبد الرحمن الأوسط»، فبنى مسجد #إشبيلية# الجامع، وزاد في المسجد الجامع بقرطبة قدر بهوين كبيرين من ناحية القبلة، ونقل المحراب إلى الجزء الجديد، وأقام أعمدة أخرى، وأقواسًا فوق الأعمدة الأصلية، فكانت الأقواس المزدوجة التي يعدها المعماريون من روائع العمارة الإسلامية، وكان صحن المسجد مكشوفًا يدور حوله سور، وتزرع فيه أشجار النارنج، ولهذا سُمِّي بهو النارنج، وهو الآن صحن الكنيسة.

### 5. الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط [238 - 273هـ]

قضى فترة حكمه في إخماد الثورات ومواجهة أعداء دولته من النصارى، إضافة إلى خطر النورمان الذين عادوا للهجوم على الأندلس من جديد فحدثت معارك برية وبحرية انتصر فيها المسلمون أجبرتهم على العودة إلى بلادهم[1].

ثورة عمر بن حفصون: وهو من أصل إسباني قوطي، ظهر في جبل ببشتر ضمن سلسلة الجبال بين «رندة» و«مالقة» التي تعد مأوى العصاة والخارجين على السلطة المركزية.

حاول الأمير محمد إخماد حركتهم التي كان يقودها عمر بن حفصون فلم يصل إلى ما يريد، رغم إرساله جيشًا كبيرًا بقيادة ابنه المنذر ، وبينما هو يحاصره ويشتد عليه تلقى نبأ وفاة والده فعاد إلى قرطبة فتنفس «ابن حفصون» الصعداء، واستأنف غاراته وفساده ونشر سلطانه على «رية» و«رندة» و«أستجة» وغيرها[2].

### 6. الأمير المنذر بن محمد [273 - 275هـ].

ولى عهد أبيه ومحل ثقته، وفارسًا شجاعًا، وقائدًا متميزًا اعتمد عليه أبوه كثيرًا في مواجهة المشاكل ومحاربة العصاة وقيادة الحملات. وفى أول ولاية المنذر عادت طليطلة ومناطق أخرى إلى الثورة كعادتها، إلا أنه أرسل إليها حملات ، وفى ربيع (274هـ) خرج المنذر

[1] الذهبي : العبر في خبر من غبر/ تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت ج1، ص 344.

[2] حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس، ، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1993، ص 52.

بنفسه مصممًا على القضاء على ابن حفصون واجتثاث ثورته من جذورها، ولما شدد المنذر حصاره وقطع كل علاقات ابن حفصون بالخارج[1]، لجأ ابن حفصون إلى الحيلة والخديعة وطلب الصلح ثم عاد للتحصن بجبال ببشتر فاشتد غضب الأمير ورجع لمحاصرته، وأصر على عدم العودة إلى قرطبة إلا بعد القبض عليه حيا أو ميتًا، ودام الحصار ثلاثة وأربعين يومًا بعدها مرض المنذر، وطلب من أخيه عبد الله أن يحضر؛ لينوب عنه ، ثم مات تحت أسوار ببشتر فتم رفع الحصار، وعاد الجيش إلى قرطبة، ومرة أخرى يتنفس ابن حفصون الصعداء[2].

**7 . الأمير عبد الله بن محمد [275 - 300هـ].**

ما كاد الأمير عبد الله يتولَّى الحكم حتى قامت الثورات ضده في المناطق الجبلية، بل تجاوزت ذلك إلى المدن والقواعد الكبرى، ولم تعد تقتصر على القادة من المولدين بل تجاوزتهم إلى العرب أنفسهم، وبرز العنصر البربري واعتصم كثير من زعمائه في الحصون النائية، وتنوعت المعارك وتعددت بين العرب والمولدين وبين العرب والبربر، وبين العرب أنفسهم بعضهم ضد بعض، وأعلن بعض زعماء العرب استقلالهم في «جيان» «البيرة» و«لورقة» و«مدينة سالم»، وغيرها. واستقل زعماء البربر في «الثغر الأعلى» و«بطليوس» و«مرسية» وبعض مناطق «جيان» وغيرها، وأضحت «إشبيلية» مسرحًا لقتال مرير، ونشر «ابن حفصون» سلطانه في أغلب النواحي الجنوبية القريبة، ولم يبق لحكومة «قرطبة» إلا العاصمة وضواحيها. وكان على الأمير «عبد الله» أن يواجه ذلك كله، فعقد صلحا مع ابن حفصون إلا أنه نكث عهده، فسار إليه الأمير بنفسه عام (276هـ)، وبعد العديد من الجولات استطاع أن يضعف من قوة ابن حفصون[3].

[1] الضبي : المصدر السابق، ج 1، ص 16.

[2] ابن الأثير : المصدر السابق، ج 6، ص 356.

[3] المقري : المصدر السابق ، ج2 ، ص 85

قضى الأمير عبد الله خمسة وعشرين عامًا في كفاح وصراع دائمين بهدف حماية الدولة والحكم الأموي من الانهيار، وقد توفى الأمير عبد الله في (أول ربيع الأول سنة 300هـ).

## 8. عبد الرحمن الناصر العصر الذهبي لبنى أمية في الأندلس [ 300 - 350 هـ].

بدأ «عبد الرحمن» حكمه في (ربيع الأول سنة 300هـ) فكان عليه أن ينهض بمهمة ثقيلة، حيث تعرضت الإمارة للثورات من كل ناحية، فبدأ بقيادة القوات والقضاء على الثائرين الواحد تلو الآخر حتى ضيق على ابن حفصون فاضطر لطلب الأمان فوافقه الأمير على ذلك، وفى شهر (ربيع الأول سنة 306هـ) مات «عمر بن حفصون» عن عمر يناهز اثنين وسبعين عامًا بعد أن قاد أكبر ثورة قام بها المولدون ضد الإدارة الأموية في غرب الأندلس كله، وتنفست الحكومة الأموية بوفاته الصعداء بعد أن كان شاغلها الشاغل طوال ثلاثين عامًا، وبحلول سنة 317 هـ استطاع الناصر لدين الله القضاء على آخر الثورات التي استنزفت مجهود الدولة لسنوات طويلة[1].

تعرضت الحدود الشمالية لقرطبة لأخطار جسيمة من طرف النصارى قبل أن يتولى

«عبد الرحمن الناصر»، وكان الناصر يؤثر في أول الأمر غض الطرف عن محاربتهم إلى أن يتمكن من تطهير الأندلس من الثائرين، لكن هذا التخريب والفساد والعبث من جانبهم جعل الناصر يتخلى عن أسلوبه الأول ، فبعث بالجيوش وقاد بنفسه الحملات التي ألحقت بهم الخسائر الفادحة حتى كسر شوكتهم واسترد العديد من المدن والحصون والقلاع وأجبرهم على الولاء له[2].

عندما تولى عبد الرحمن الناصر، كانت الدولة الفاطمية قد قامت في بلاد المغرب منذ أربع سنوات في (296هـ)، وامتد نفوذها بسرعة حتى وصل إلى سبتة، وأصبحت تهدد الشواطئ الأندلسية وتمثل خطرًا دينيا وسياسيا عليها، ومن الطبيعي أن يزعج هذا الأمر

[1] الضبي : المصدر السابق، ج 1، ص 16.

[2] مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، ص 153.

الأمويين في الأندلس؛ لأن المغرب قاعدة من يريد الوصول إلى الأندلس. كما أنه يمد الثوار بها بحاجاتهم ويشجعهم على التآمر ضد الإدارة الأموية.

كان على الناصر أن يواجه هذه المشكلة قبل أن يستفحل خطرها. ولهذا بعث سنة (319هـ) أسطولا مكونًا من (120) سفينة وسبعة آلاف رجل إلى سبتة انضم إليه بعض المتطوعة في الطريق، وقد تمكن هذا الأسطول من السيطرة على سبتة ، ثم حاصر الأسطول بعد ذلك طنجة وضيق عليها حتى استسلمت وخضعت للناصر وغادرها بقية الأدارسة، وبادر زعماء البربر إلى إعلان الطاعة للناصر وامتدت دعوته حتى فاس[1].

**ثانيا : عهد الخلافة الأموية في الأندلس:**

عندما تولى «عبد الرحمن الداخل» أمر بعدم الدعاء لبنى العباس ولم يتخذ لقب الخلافة مكتفيًا بالإمارة، وسار بنوه على نهجه، فلما تولى الناصر، وجد أن هناك دولة فاطمية قامت في بلاد الشمال الإفريقي، ووصل نفوذها إلى شواطئ المغرب الأقصى، وقد اتخذ حكامها لأنفسهم لقب الخلافة وسماتها، إلى جانب ما يشكلونه من خطر شيعي على المنطقة، كما أن خلافة بني العباس دخلت أطوار الضعف والانحطاط من سيطرة جنود الترك والديلم، وإذا كان هو قد نهض بالدولة ووطد سلطان بني أمية في كل الأندلس فلماذا لا يكون من حقه لقب خليفة ؟ لذلك وبعد استشارة بعض الفقهاء أصدر أمرًا بذلك يوم الجمعة مستهل (ذي الحجة سنة 316هـ) وأصبح عبد الرحمن الثالث يلقب بالخليفة أمير المؤمنين الناصر لدين الله، وقد أرسلت نسخ من هذا الإعلان إلى إفريقية والمغرب، وبذلك أصبحت الخلافة الأموية مساوية للخلافة العباسية، ويناط بها رعاية شؤون المسلمين. فنجح في تحويل ملوك إسبانيا النصرانية إلى أتباع له أو حلفاء[2].

كما أنشئ مدينة الزهراء وزاد المسجد الجامع بقرطبة، كما اهتم الناصر بالجيش وجمع له الجند من أنحاء المغرب والأندلس، واستكثر من الأسلحة، وأمده بمجموعة من أمهر

[1] المقري : المصدر السابق ، ج2 ، ص 85

[2] عبد المجيد نعنعي : المرجع السابق، ص 499.

القادة،وتولى القيادة بنفسه أحيانًا. كما أمر الناصر باتخاذ دار للسكة في قرطبة سنة (316هـ) لضرب الدنانير والدراهم. توفي عبد الرحمن الناصر سنة 350هـ بعد حكم دام خمسون سنة استطاع إعادة بناء الأندلس والوصول بها إلى مراتب الدول الكبرى عالميا في ذلك العصر[1].

**9. الحكم المستنصر بالله [350 - 362هـ].** خلف عبد الرحمن الناصر أكبر أولاده الحكم المستنصر بالله، الذي بويع يوم وفاة أبيه في الثالث من رمضان سنة 350 هـ وهو في السادسة والأربعين من عمره، فبعد أن رتب أمور الدولة وواجه الأخطار الداخلية والخارجية بحزم، ووجه أكبر اهتمامه إلى الآداب والعلوم، فازدهرت في عصره حتى وصلت الأندلس إلى قمة تطورها، فاجتمع له في خزانته أكثر من أربعمائة ألف مجلدا تتعلق بمختلف أنواع العلوم في عصره، كما احتضن العلماء وأغدق عليهم وقربهم حتى نالوا حظوة كبيرة عنده[2].

شعر الحكم المستنصر في أواخر عهده بالضعف والمرض، فأوصى لابنه هشام بولاية العهد من بعده وهو لم يبلغ التاسعة من عمره بعد، وقد أخذ له البيعة قبل وفاته، فلما انتقل إلى جوار ربه نفذت رغبته وأصبح ابنه الصغير خليفة للمسلمين في الأندلس.

إلا أن الخليفة المؤيد بالله ونظرا لصغر سنه، شكل مجلسا للوصاية عليه، وهذا لتسيير شؤون الدولة، بما مهد الطريق لبروز شخصية قحطانية قوية وفريدة من نوعها، لكن من خارج البيت الأموي، وهي شخصية محمد بن أبي عامر، الذي استطاع بدهائه السيطرة على أمور الحكم بعد أن قام بإقصاء كل المنافسين والمناوئين له، فتخلص في البداية من سيطرة الصقالبة، ثم من الحاجب بن عثمان المصحفي، وكذا من القائد غالب، وبعد ذلك أبعد السيدة صبح أم هشام المؤيد بالله، فخلا له الجو بذلك للانفراد بالملك، فتغلب على الخليفة هشام المؤيد وحجره في قصره، لا تراه الخواص ولا العوام، ثم تسمى بالحاجب

[1] ابن عذارى : المصدر السابق، ج2، ص 235.

[2] القري : المصدر السابق، ج1، ص382.

المنصور سنة 371 هـ[1] ، كما أمر بالدعاء له على المنابر بعد الخليفة. هذا الوضع، جعل السلطة الزمنية تخرج عن سيطرة الخليفة والأمويين بشكل عام، فلم تبق لهم إلا السلطة الروحية من الدعاء على المنابر وكتابة اسم الخليفة على السكة والطرز لتبدأ مرحلة الدولة العامرية التي نشأت في قلب الدولة الأموية وفي عز قوتها[2].

وقد خلع آخر خليفة أموي واسمه هشام الثالث المعتد بالله بن عبد الرحمان الرابع بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمان الناصر 418-422هـ/1027-1031م ومدة حكمه حوالي أربعة سنوات تقريبا[3].

**أسباب سقوط الدولة الأموية في الأندلس:**

يعود سقوط الدولة الأموية في الأندلس إلى :

- صراع بين الأمراء الأمويين يعود إلى خمسين سنة قبل السقوط.

- توسع مملكة ليون المسيحية والتي شملت معظم بلاد الباسك مكونة مملكة قشتالة، وقويت بلاد نافار مع نهاية القرن الرابع الهجري مكونة مملكة أرغونة التي بدأت تمارس الضغط على الدولة الأموية في الشمال، خاصة وأنّ هذه الأخيرة دب فيها الضعف بسبب تهور الأمراء وكذلك مشاكلها مع الدولة الفاطمية التي تركت بصماتها.

- ظهور الزعامات المحلية والعصبية القبلية بين السكان العرب والبربر والمولدون وكذلك أهل الكتاب، فبدأ المسيحيون يتجسسون على المسلمين لحساب أوروبا.

**الدولة العـــــامـــريـــــة [368 - 399 هـ = 978 - 1009 م].**

[1] ابن عذارى : المصدر السابق، ج2، ص03.

[2] ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939، الجز الرابع، ص 59.

[3] القري : المصدر السابق، ج1، ص387.

بعد أن أصبحت السيطرة كاملة لابن أبى عامر فكر فى إنشاء مدينة جديدة يتوافر فيها الأمان ومظاهر السلطان فكانت مدينته الزاهرة أو العامرية شرقى قرطبة والتي استغرق بناؤها عامين، وضمت قصرًا ومسجدًا ودواوين للإدارة ومساكن للحرس، ونقل خزائن المال والسلاح إليها[1]، وأقيم حولها سور ضخم كما بنى خندقًا وتم إقطاع ضواحيها للوزراء والقادة، فابتنوا الدور وأنشئت الشوارع والأسواق حتى اتصلت مبانيها بضواحى #قرطبة#، وقد انتقل إليها ابن أبى عامر سنة (370هـ = 980م)، واتخذ له حرسًا خاصا من الصقالبة والبربر أحاطوا بقصره، ومنعوا الدخول والخروج إليه، وبذلك أقفرت قرطبة وأقفر قصرها ونقلت كل مظاهر السلطان إلى المدينة الجديدة، ومنع الخليفة من أى حركة إلا بإذن ابن أبى عامر حماية له من المتآمرين وحتى يتفرغ للعبادة كما زعم.

حاولت «صبح» بعد هذا التطور أن تستبعد «ابن أبى عامر» مستعينة بمنافسيه، ولجأت إلى القائد «غالب»- صاحب الثغر - فى سرية تامة، فرد ابن أبى عامر بتقريب «جعفر بن على بن حمدون الأندلسى» -وهو بربرى من #زناتة# - عبر البحر وتقلد الوزارة، واستعان به ابن أبى عامر على كسب مودة #البربر# الذين توافدوا من عدوة المغرب إلى #الأندلس#، وغمرهم بأمواله.

أراد غالب مصانعة ابن أبى عامر فدعاه إلى غزوة مشتركة فى أراضي قشتالة، وأقام له وليمة دخل معه خلالها فى نقاش عنيف ورفع السيف فأصيب ابن أبى عامر، لكنه استطاع الفرار وذهب إلى دار غالب بمدينة سالم واستولى على كل ما كان فيها، ثم دخل الفريقان فى قتال عند حصن «شنت بجنت» يعاون غالب ملك #ليون#، وانتهى الأمر بموت غالب وهزيمة أعوانه من المسلمين والنصارى فى (4 المحرم سنة 371هـ = 10يوليو 981م)[2].

غزوات ابن أبى عامر: بدأت سلسلة هذه الغزوات الشهيرة بعد أن استقرت الأمور لابن أبى عامر، ووصل عددها إلى نحو أربع وخمسين غزوة استقصى المؤرخ القرطبى ابن

[1] ابن عذارى : المصدر السابق، ج2، ص391

[2] ابن بسام الشنتريني : المصدر السابق، ج4، ص62.

حيان أخبارها فى كتاب له مفقود عنوانه «الدولة العامرية» ويتحدث عنها ابن خلدون فيقول: «غزا ابن أبى عامر اثنتين وخمسين غزوة فى سائر أيام ملكه، لم ينكسر له فيها راية ولا فل له جيش ولا أصيب له بعث ولا هلكت له سرية»[1]. وقد بدأ «ابن أبى عامر» غزواته بمملكة «ليون»؛ ليعاقب ملكها على معاونته لغالب، وقد تحالف ضده ملوك النصارى الثلاثة: ملك ليون، وملك قشتالة، وملك نبرة، وجرت بينه وبينهم موقعة عند «شنت منكش» انتصر فيها «ابن أبى عامر»، ووصل إلى عاصمة مملكة «ليون»، ثم عاد إلى «قرطبة» سنة (371هـ = 981م) بسبب حلول الشتاء، وبعد عدة أشهر من عودته اتخذ لنفسه لقب «الحاجب المنصور» ودعى له على المنابر وصدرت الكتب باسمه ونقش على السكَّة، وقبَّل المسئولون وكبار الموظفين والوزراء يده وأصبح هو كل شىء[2].

وفى سنة (274هـ = 984م) خرج «المنصور» إلى شمال شرقى «الأندلس» على رأس جيش ضخم مر بغرناطة ثم «بسطة» فلورقة فمرسية، ثم اتجه شمالا إلى «برشلونة»، حيث دخل منطقة «قطلونية»، ثم اقتحم مدينة «برشلونة» ودمَّرها وأحرقها فى (صفر 375هـ = يوليو 985م)، ولم يحاول المنصور الاحتفاظ ببرشلونة، وإنما قصد إلى تدمير قوى النصارى فى هذه المنطقة النائية.

ثم قام المنصور عام (378هـ = 988م) بغزو مملكة ليون بعد أن انقض ملكهم على المسلمين، وطاردهم إلى آخر حدود بلاده، فسار المنصور شمالا إلى ليون، ثم غربًا إلى مدينة قلمرية شمالى #البرتغال# بالقرب من المحيط واستولى عليها وبقيت خرابًا مدة سبعة أعوام، ثم سار المنصور نحو مملكة «نبرة» وقصد عاصمتها «بنبلونة» ردا على

[1] ابن خلدون: المصدر السابق، ج7 ، ص 320

[2] عبد القادر بوباية : البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري، دار الكتب العلمية ، 2011، ص396

إغارة ملكهم على أراضى المسلمين، وغزوة المنصور هذه تسمى غزوة البياض، وقد عاد بجيشه إلى «سرقسطة» والتقى هناك بابنة عبدالملك بعد عودته ظافرًا من حروبه فى بلاد المغرب كما سنشير فيما بعد.

وفى ربيع سنة (378هـ = 988م) خرج المنصور فى جيش ضخم، واخترق مملكة ليون واستولى على عاصمتها بعد معارك عنيفة، ثم سار إلى «سمورة» وحاصرها حتى سلمت، واعترف النبلاء له بالطاعة، ولم يبق تحت سيطرة ملك ليون إلا المنطقة الجبلية الواقعة شمالي غربي إقليم جليقية[1].

وأثناء قيام المنصور بغزوته هذه رقم (45) انضم ابنه «عبدالله» إلى ملك قشتالة بتحريض من صاحب الثغر الأعلى «عبدالرحمن بن مطرف التجيبى» وكانت عاصمته «سرقسطة»، ولكن المنصور ضغط على الملك النصرانى عن طريق العمليات العسكرية المتتالية فسلمه ابنه، ولم يتردد المنصور فى قتل ولده فى الحال[2].

ثم قام «المنصور» سنة (387هـ = 997 م) بأعظم غزوة قام بها متجهًا نحو منطقة جليقية، وهى منطقة وعرة من الصعب غزوها؛ لأنها ملاذ ملوك ليون يلجئون إليها كلما ضيق المسلمون الخناق عليهم، فخرج المنصور إليها من قرطبة فى (شهر جمادى الآخرة سنة 387هـ= 997م)، وفى الوقت نفسه تحرك الأسطول الأندلسى فى مياه البرتغال يحمل المشاة والأقوات والذخيرة، وعبر المنصور الجبال والأنهار حتى وصل إلى مدينة قورية، ثم زحف نحو الشمال الغربى واستولى على مدينتى: «بازو» و«قلمرية»؛ حيث وفد إليه العديد من أمراء النصارى وانضموا إلى جيشه وأطاعوه، بعد ذلك توجهت القوات الإسلامية شمالا نحو نهر «دويرة»، حيث وافاه الأسطول، فجعله جسرًا عبر به صوب جليقية، وسار فى شعب الجبال، ثم التزم المشى بحذاء الشاطئ يهدم ويخرب، ففرت أمامه جموع النصارى، وظل المنصور يواصل عملياته حتى انتهى إلى مدينة «شنت ياقب» المقدسة عند النصارى فدخلها ثم سار المنصور حتى وصل إلى شاطئ المحيط

[1] القري : المصدر السابق، ج1، ص388.

[2] ابن عذارى : المصدر السابق، ج2، ص407

وتابع سيره إلى أن أصبح فى شمال البرتغال الحديثة، وهناك وزع الهدايا على الموالين له من زعماء النصارى وطلب منهم أن يعودوا إلى بلادهم ورجع هو إلى مدينته الزاهرة. وقد هزت هذه الغزوة #إسبانيا# النصرانية، وبقى تأثيرها بضع سنين وكانت الثامنة والأربعين من بين مجموع غزواته[1].

ثم قام المنصور بعد ذلك بغزوات فى سنوات (389، 390هـ= 999، 1000م) فى أراضى نبرة وقشتالة؛ حيث واجه جموع النصارى متحدين مصممين على النيل منه، وتعرض المسلمون للهزيمة أول الأمر، لكن المنصور صعد على ربوة عالية، وأخذ يضاعف جهوده ويحرض الناس، حتى تمكن من تحويل الهزيمة إلى نصر ومزق العدو شر ممزق، وتوالى زحفه حتى اقتحم مدينة «برغش»، ومنها توجه إلى «سرقسطة»، ثم إلى «بنبلونة» عاصمة «نبرة» دون أن يجرؤ أحد على اعتراضه وأخيرًا رجع إلى العاصمة بعد تسعة ومائة يوم[2].

وفى ربيع (392هـ =1002م) خرج المنصور لآخر مرة، وتوجَّه إلى قشتالة ومنها اتجه غربًا نحو «برغش» وعاث فى تلك المنطقة، وتقول المصادر النصرانية إنه تعرض لهزيمة على أيدى ملوك النصارى متحدين، وإنه اضطر إلى الفرار في جنح الظلام بعد موقعة معهم جرت أحداثها بمكان يسمى «قلعة النسور»، وقد جرح المنصور ثم مات بعد ذلك متأثرًا بجراحه، لكن الباحثين المحدثين – ومنهم المستشرق الهولندى دوزى - يرفضون هذه الرواية لأنها تخالف الحقائق التاريخية الثابتة، فهى تتحدث عن تحالف بين ملوك من النصارى ماتوا قبل هذه الموقعة، أضف إلى ذلك أن المصادر الإسلامية لا تذكر شيئًا عن تلك الموقعة، مع أنها لا تخفى هزائم المسلمين، فالصمت قرينة على أنه لم تكن هناك هزيمة ولا حتى موقعة أصلا[3].

[1] القري : المصدر السابق، ج1، ص388

[2] ابن بسام الشنتريني : المصدر السابق، ج4، ص66.

[3] ابن عذارى : المصدر السابق، ج2، ص407

ومهما يكن من أمر فقد سار المنصور فى حملته هذه محمولا حتى وصل إلى «مدينة سالم»، وهناك وافاه الأجل فى (27 رمضان 392هـ = 11 أغسطس 1002م) بعد حكم دام 27 عامًا.

المنصور وولاية العهد: اتخذ المنصور فى سنة (381هـ= 991م) خطة غير مسبوقة بهدف دعم سلطانه فرشح ابنه عبدالملك ليتولى الأمر من بعده، وتنازل له عن الحجابة والقيادة وجميع ما كان يتولى من خطط مكتفيًا بلقب «المنصور» ثم تلقب بالملك الكريم فى سنة (386هـ = 996م) وبولغ فى تعظيمه وإجلاله، ولم يكن المنصور يقصد أن تجتمع السلطات في يده، فكل السلطات السياسية والعسكرية فى قبضة يديه بالفعل، لكنه أراد أن يصبغ حكمه بالصبغة الشرعية، وأن تكون له رسوم الملك والخلافة، ويقوم بتأسيس دولة تحل محل دولة بنى أمية، لكن الظروف لم تكن مهيأة فالناس لاتميل كثيرًا إلى المنصور؛ بسبب الوسائل الدموية التى لجأ إليها لتصفية خصومه[1].

الجيش فى عهد المنصور: أعطى المنصور اهتمامًا كبيرًا للجيش، فعنى بتنظيمه، واستقدم قوات تعد بالألوف من المرتزقة من قبائل زناتة وصنهاجة وغيرهما من البربر ومن الجند النصارى، وكون من هؤلاء جميعًا جيشًا ضخمًا ضمن ولاءه له بجوده ووفرة عطاياه، كما غير من نظام الجيش، فقدَّم رجالات البربر وأخَّر زعماء العرب وفرق جند القبيلة الواحدة، وكان الخليفة الناصر من قبله قد مهد له الطريق عندما سحق القبائل العربية وأضعف هيبتها حسبما أشرنا من قبل، أى أن ابن أبى عامر وجد الطريق ممهدًا، فلم تلق سياسته كبير معارضة[2].

وقد نفر المحاربون القدماء والأندلسيون بشدة من ذلك الجيش وسعِدَ «ابن أبى عامر» بهذا النفور لأنه يقف حائلا بين عناصر الجيش القديم وبين اتحادها ضده، كما أنه يشعر البربر بضرورة الاعتماد عليه. ومن أهم ما فعله فصل جيش الحضرة (قرطبة) عن الجيش العام، وتعيين نفسه قائدًا له، فأصبح قوة عسكرية، وفتحت له والدة

[1] القري : المصدر السابق، ج1، ص389.

[2] عبد القادر بوباية :المرجع السابق، ص 398.

الخليفة بيت المال ظنا منها أنه يعمل لحسابها وحساب ابنها، فأكثر من الجند، وأصبح مستبدا عسكريا، وتحوَّل من فقيه إلى رجل سياسة، وملك من القوة العسكرية ما لم يملكه من سبقوه، فالناصر رغم ميله إلى الاستبداد كان يقف عند حد معين، ويعلم أنه من المستحيل القضاء على النصارى فيكتفى بإضعافهم وحملهم على أداء الجزية، أما المنصور فتتوالى ضرباته دون أن يحاول ضم جزء إلى أراضى الخلافة، أو إسكان بعض المسلمين فى الأراضى التى يفتحها وإنما يضرب ويحوز الغنائم ويعود النصارى إلى ما كانوا عليه، وكأنه لم يكن يهدف إلا إلى ذلك[1].

وجدير بالذكر أن المنصور فى سنة (388هـ = 998م) أعفى الناس من إلزامهم بالغزو؛ بسبب ما وصلت إليه أعداد الجيش وما توافر له من قوة، واكتفى بالقوات المرابطة، وقد بلغ الجيش المرابط أى الثابت

في زمن المنصور (12100) من الفرسان يصرف لهم جميعًا المرتبات والسلاح والنفقة بخلاف (600) فارس للحراسة الخاصة، أما الجيش المرابط من الرجَّالة فقد بلغ ستة وعشرين ألفًا، وكان هذا العدد يتضاعف بمن ينضم إليه من المتطوعة أثناء الصوائف ولا يدخل في هذا الخيل ومطايا الركوب ودواب الحمل وغيرها من العدد، وكان المنصور يتولى قيادة قواته بنفسه غالبًا. وقد حققت غزواته أهدافها من ردع النصارى ومنعهم من الهجوم على أراضي المسلمين، وكان يعرف أبرز جنده جميعًا بأسمائهم ويدعوهم إلى المآدب التى يقيمها عقب كل انتصار، ومع ذلك فإن المحصلة النهائية لغزواته كانت ضعيفة فهو لم يقضِ على كل قوى النصرانية أو يسحقها، وغزواته وإن أضعفت النصارى، فإنها لم تغير أحوالهم، وبقيت حدود دولة الإسلام على ما هى عليه، فهى غزوات دوبها عظيم تجذب الناس إليها، لكن نتائجها قليلة فقد أنهكت قوى الجيوش الإسلامية دون أن تحقق هدفًا ثابتًا أو تقضى على خصم، إنها مثل الطبل الأجوف صوت كبير وعمل قليل[2].

[1] ابن عذارى : المصدر السابق، ج2، ص408

[2] القري : المصدر السابق، ج1، ص390.

**إدارة المنصور:** أظهر المنصور مقدرة كافية ممتازة فى جميع المناصب التي تولاها وشهدت البلاد فى زمنه أمنًا واستقرارًا وطمأنينة لم تعرفها قبله، وفى زمنه لم تعرف البلاد الثورات مقارنًا بغيره، وازدهرت الصناعة والتجارة والزراعة، وارتقت العلوم والآداب، وامتلأت خزائن قرطبة بالمال حتى وصلت الإيرادات إلى نحو أربعة ملايين دينار، بخلاف الموارد من المواريث ومال السبى والغنائم، وقد عاون المنصور مجموعة من الكتاب والوزراء فى هذا العصر من أبرزهم: «أبو مروان عبدالملك بن شهيد» و«محمد بن جهور» و«أحمد بن سعيد بن حزم» والد الفيلسوف المشهور، و «خلف بن حسين بن حيان» والد أمير المؤرخين الأندلسيين «ابن حيان»، ومن الكتاب «سعيد بن القطاع» وغيره من أبناء الأسر العريقة التى تعاقب أبناؤها على الوزارة[1].

العمارة فى عهد المنصور: لم يخل عهد المنصور من الإنشاءات العظيمة على الرغم من الغزوات المستمرة وقد أشرنا إلى بنائه مدينته الزاهرة بقصورها وحدائقها، وجعلها قصرًا للحكم والإدارة، وقد بنى المنصور بجانبها مدينة جميلة ازدانت بالحدائق والقصور أسماها «العامرية»، وكان يقصدها عندما يريد الاستجمام. كذلك قام بزيادة المسجد الجامع في «قرطبة» بعد أن اتسعت المدينة، وضمت واحدًا وعشرين حيا، الواحد فيها أكبر من أية مدينة أندلسية، وقد حفر حولها خندقًا بلغ 16 ميلاً وزاد سكانها كثيرًا لا سيما البربر، وضاق المسجد الجامع بهؤلاء السكان فأدخل المنصور فى سنة (387هـ= 997م) زيادة عليه من الناحية الشرقية، بلغت المساحة الأصلية نفسها تقريبًا، وحرص المنصور على الاشتراك فى هذا المشروع بنفسه، واشتغل فيه أسرى النصارى، وتم تعويض أصحاب الدور والأماكن التى صودرت لهذا الغرض، ولا يزال هذا الجناح قائمًا حتى اليوم، ويعرف بمسجد المنصور، وإن تحولت عقوده الجانبية إلى هياكل وكنائس. وبهذه الزيادة بلغت مساحة المسجد الجامع ما يزيد على ستة أفدنة، كما انفرد بطرازه الرائع، وليس فى العالم مسجد ولا كنيسة فى مثل حجمه اللهم إلا قصر «فرساي» بفرنسا.

[1] المصدر نفسه، ج1، ص389

كما جدد المنصور قنطرة قرطبة على نهر الوادي الكبير، وكان «السمح بن مالك» قد جددها من قبل وأنفق المنصور على تجديدها في سنة (378هـ = 988م) مائة وأربعين ألف دينار وبنى قنطرة «أستجة» على نهر «شنيل» أحد فروع نهر الوادي الكبير[1].

المنصور في نظر المؤرخين: يشهد المؤرخون القدماء للمنصور بالكرم، وبأنه كان يبذل الأموال للمتصلين به والفقراء خاصة، ورغم سفكه للدماء فقد كان يتظاهر

بالتقوى، حريصًا فى كل غزواته على حمل مصحف خطه بيده، ويقال إنه كان منصفًا عادلا يزجر الظالم حتى لو كان من كبار حاشيته، وكان صبورًا حليمًا، ولكنهم ينعون عليه شغفه بمعاقرة الخمر، ولم يتخل عن ذلك إلا قبل وفاته بعامين. وتميز المنصور بأنه كان شغوفًا بالعلم والأدب، محبا للعلماء والأدباء والشعراء ويناظرهم ويشترك معهم فى نظم الشعر ويغدق عليهم، ساعده على ذلك نشأته فى بيت علم وأدب، وبراعته فى علوم الشريعة وفنون الأدب خلال فترة صباه. وحرص المنصور على نشر العلم والمعرفة بين طبقات الشعب، فأنشأ كثيرًا من دور العلم فى قرطبة وأنفق عليها، وكان يزور المساجد والمدارس، ويمنح المكافآت للمتفوقين من الطلاب، كما حرص على جمع الكتب ومكافأة أصحابها، وقد منح «صاعد البغدادى» (500) دينار مكافأة له على كتابه «الفصوص»، وكان يكره الفلسفة، ويرى أنها مخالفة للدين كما كان يبغض التنجيم ويطارد المنجمين، وقد استخرج من المكتبة #الأموية# جميع كتب الفلاسفة والدهريين وأحرقها بحضرة كبار العلماء، وما فعله «المنصور» أمر خطير، تسبب في ضياع ثروة علمية عظيمة[2].

ونظرًا للشهرة الواسعة التي حققها المنصور، جاء إليه بعض ملوك النصارى واستعطفوه وتقربوا إليه وزوجوه من بناتهم. ويرى بعض المؤرخين المعاصرين أن «ابن أبى عامر» من أعظم الرجال وأنه قام بما لم يقم به أحد فى تاريخ الإسلام، فقد استطاع

[1] ابن عذارى : المصدر السابق، ج2، ص413

[2] ابن حيان : المقتبس، تحقيق حجي، ص 99.

الاستيلاء على الحكم فى دولة كبرى، وهى فى أوج سلطانها ووجه أمورها بصورة مستبدة. ومع ذلك فإن هنا أمورًا ثلاثة هى أكثر ما أضر به المنصور:

1 - إقامته ملكه على جند مرتزقة تعالوا على الناس، واصطناعه لبيوت جديدة من زعانف الأسر، وصغار الفقهاء والطامعين[1]، وتوليتهم وظائف القضاء والولايات، وقد أثقل هؤلاء على الناس، وأرهقوهم بالمطالب، واستولوا على أموالهم، ومن هؤلاء بنو عباد في إشبيلية، ومن البربر الذين استعان بهم فى النواحي، بنو الأفطس في بطليوس[2]، وبنو ذي النون جنوب غربي طليطلة - بالإضافة إلى الصقالبة الجدد الذين اشتراهم المنصور لحسابه ومن هؤلاء جميعًا يتكون الحزب العامري - وهم الذين قضوا على وحدة الأندلس فيما بعد، ويتكون منهم ما يعرف بملوك الطوائف.

2 - انعدام المفهوم الأخلاقي عنده، وهذا جعل الناس يخافونه ولا يحبونه، بل إن أنصاره ما كانوا يأمنونه؛ لأنه كان كثير التجسس فكان يطلب من العبيد والجواري أن يكونوا عيونًا فى بيوتهم وأفسد أخلاق الناس بالرشوة ونحوها.

3 - حجر المنصور على الخليفة «هشام»، وتعيين ابنه «عبدالملك بن المنصور» وليا لعهده، والتخلص من معارضيه بالتآمر والقتل[3].

ولقى المنصور ربه فى «مدينة سالم» في (27 من رمضان سنة 392هـ = أغسطس سنة 1002م) كما أسلفنا وتولى الأمر من بعده ابنه عبدالملك المظفر.

**عبدالملك المظفر بالله ابن المنصور:** [رمضان 392 - صفر 399هـ = أغسطس 1002 - أكتوبر 1008م]. صدر أمر الخليفة «هشام» بتولية «عبدالملك» #الحجابة# بعد وفاة والده، وقضى عبدالملك بسرعة على من أراد انتهاز الفرصة للعودة إلى حكم الخليفة،

[1] عبد القادر بوباية :المرجع السابق، ص 398.

[2] ابن عذارى : المصدر السابق، ج2، ص413

[3] عبد القادر بوباية :المرجع السابق، ص 398.

وقد بدأ عهده بإسقاط سدس الجباية (الضرائب) عن السكان بكل نواحي الأندلس فاستبشر الناس به خيرًا[1].

سياسة عبدالملك مع النصارى: ظن ملوك النصارى أن خطر الغزوات الإسلامية عليهم سيقل بعد وفاة المنصور، لكنهم كانوا واهمين لأن عبدالملك بدأ بعد أشهر قليلة من ولايته يستعد لغزوته الأولى، ووفد إليه الزعماء والمتطوعة من المغرب وغيرها للاشتراك معه، فرحَّب بهم وبذل لهم الأموال ووزع عليهم السلاح، وخرج بالجيش من مدينة الزاهرة فى (شعبان 393هـ = يونيو 1003م)، وتوجه إلى مدينة «طليطلة»، ومنها إلى مدينة «سالم»، حيث انضم إليه «الفتى واضح» فى قواته وقوات من النصارى حسب اتفاقهم مع المنصور، ثم اتجه الجنود نحو الثغر الأعلى، ثم من سرقسطة إلى «برشلونة»، حيث استولت القوات الإسلامية على بعض الحصون المنيعة، واستولت على سبى ومغانم، ثم عاد المسلمون إلى قرطبة عن طريق مدينة «لاردة» فى شهر ذى القعدة، وقد تلقى عبدالملك رسالة من أمير #برشلونة# تطلب الصفح والمهادنة فاستقبل الرسل استقبالا يليق بمقام الخلافة[2].

ولما اعتدى أمير قشتالة على أراضى المسلمين سنة (394هـ = 1004م) قصد إليه عبدالملك وأدبه، واضطره إلى التسليم وطلب الصلح ثانية، وتعهد على التعاون مع عبدالملك فى حملاته ضد مملكة ليون وضد خصومه جميعًا. وفى العام التالى خرج «عبدالملك» وسار نحو طليطلة ولحق به «الفتى واضح» وملك قشتالة، واتجهوا شمالا نحو أراضى ليون ومدينة سمورة وعاث فى هذه النواحى ووصل إلى جليقية واستولى على كثير من المغانم والسبى، ولكنه لم يحقق نتائج حربية ذات قيمة[3].

خرج عبدالملك فى أواخر سنة (396هـ= 1006م) إلى «بنبلونة» عاصمة «نبرة» فقصد «سرقسطة» و«شقة» و«بريشتر» ومنها اخترق المسلمون أراضى العدو وأخذوا يقتلون

---

[1] عبد المجيد نعنعي : المرجع السابق، ص 469.

[2] المرجع نفسه، ص 470.

[3] المقري : المصدر السابق، ج 2 ص 150.

وينهبون، ثم تعرض الجيش لبعض العواصف ورعد وبرق قاسٍ، واضطر إلى العودة إلى العاصمة. حين وصل إلى مسامع عبدالملك أن أمير قشتالة يفكر فى الاعتداء على أراضى المسلمين، خرج لغزوته الخامسة المسماة «غزوة قلونية» فى (صيف 397هـ = 1007م)، واخترق أراضى قشتالة ليحارب ملكها الذى تحالف معه ملك ليون وملك نبرة، وعدد من زعماء النصارى الذين وحدوا صفوفهم، ومع ذلك فقد تمكن عبدالملك من إلحاق هزيمة بهم جميعًا عند مدينة «قلونية»، وحملهم على طلب الصلح ثم عاد إلى قرطبة أواخر العام المذكور، فسر الناس بما حقق، واتخذ هو لقب «المظفر بالله» إشادة بما أحرز من نصر عظيم. لكن ملك قشتالة جدد عدوانه وغدر بالمسلمين فخرج إليه عبدالملك فى (صفر سنة 398هـ = أكتوبر 1007م)، واخترق أراضى قشتالة الوسطى، وقصد إلى بعض الحصون المنيعة، وجرت معركة، اضطر النصارى بعدها إلى دخول الحصن، وهجم عليهم المسلمون وضربوا الحصن بالمجانيق والنيران حتى حملوا العدو على طلب التسليم، وهنا أمر عبدالملك بقتل المقاتلة وسبى النساء والذرية، ثم رجع إلى العاصمة في شهر ربيع الثاني[1].

وفى شوال من العام نفسه خرج عبدالملك بغزوته السابعة والأخيرة وتعرف «بغزوة العلة»؛ إذ إنه ما كاد يصل إلى مدينة سالم حتى اشتد به المرض وتفرق عنه المتطوعة، واضطر إلى الرجوع إلى قرطبة فى (المحرم 399هـ = سبتمبر 1008م) لكنه شعر بتحسن فى صحته فعمل على استئناف الغزو بعد فترة وجيزة لكن حالته ساءت، وتعرض لنكسة سببها التهاب رئوى، وعاد إلى العاصمة فى محفة حيث مات فى (16 من صفر سنة 399هـ = 21 من أكتوبر 1008م) بعد حكم دام نحو سبع سنوات[2].

أسلوب عبدالملك فى الإدارة والحكم: التزم عبدالملك الأسلوب الذى كان يحكم به والده الأندلس فجعل الخليفة محجورًا عليه لاحول له ولاقوة. وجمع السلطات كلها فى يديه، وحدَّ من نفوذ الوزراء والكتاب وراقبهم وحاسبهم، وجلس للناس وهجر اللهو،

[1] ابن عذارى : المصدر السابق، ج2، ص415

[2] المصدر نفسه، ص 416.

وعمل على تنمية الموارد وترتب على هذا تحسن فى الأحوال المالية التى كانت قد ساءت بسبب كثرة النفقات. ولم يكن لعبدالملك نصيب كبير فى مجالات العلم والأدب وكان مجلسه لايقوم إلا على الأعاجم من البربر وغيرهم، ومع ذلك فقد استمر يجرى الرواتب التى كان أبوه يجريها على العلماء والأدباء والندماء، كما استمع إلى الشعر ووصل الشعراء.

**عبدالرحمن بن شنجول:** قلد الخليفة هشام الحجابة لعبدالرحمن بن منصور، وأنعم عليه بالخلع السلطانية، وكانت أمه ابنة لملك «نبرة» تزوجها «المنصور» وأنجب منها، وقد أسلمت وتسمت باسم «عبدة» ولأنه أشبه جده لأمه المسمى «شانجة» لقب بشنجول أو شانجة الصغير. ولم يكن الشعب يميل إلى «عبدالرحمن» لما فيه من دماء نصرانية ولانحراف سلوكه، ولأنه جرى على منهج أبيه وأخيه فى الحجر على الخليفة هشام مع الاستبداد بالرأى وإن مال هو إلى التودد إلى الخليفة ومخالطته، وقد منحه الخليفة لقب #المأمون# ناصر الدولة بعد عشرة أيام من ولايته، ليس هذا فحسب، بل إن عبدالرحمن جرؤ على ما لم يجرؤ عليه أحد لا المنصور ولا عبدالملك، حين نجح بعد محاولات فى استصدار مرسوم من الخليفة بتعيينه وليا للعهد من بعده، لتنتقل رسوم الخلافة من أسرة بنى أمية إلى أسرة بنى عامر، وأقر فقهاء قرطبة وعلماؤها هذا التحول وزكاه الوزراء والقضاة والقادة، وكان ذلك فى ربيع الأول سنة (399هـ= 1008م)، ومضى «عبدالرحمن» أبعد من ذلك حين عين ابنه الطفل فى خطة الحجابة ولقبه سيف الدولة، ثم اتخذ قرارًا جلب عليه كثيرًا من السخط حين طلب من أكابر الموظفين ورجال الدولة خلع القلانس الطويلة التى يتميزون بها لأنها لبس الأندلسيين، وتغطية الرأس بالعمائم التى هى لباس البربر فأذعن هؤلاء كارهين[1].

فكر عبدالرحمن أن يشغل الناس بالغزو، فقرر أن يتوجه إلى جليقية رغم تحذيره من سوء الأحوال الجوية، ومن انقلاب قد يقوم به المروانية ضده، لكنه صمم وسار بالجيش نحو طليطلة، ومنها إلى جليقية وسط أمطار وبرد شديدين وكان يمارس هوايته

[1] عبد القادر بوباية :المرجع السابق، ص 399

فى اللهو والشراب، وقد اخترق مملكة ليون قبل أن يصل إلى جليقية، فتحصن الأعداء برءوس الجبال، ولم يجد عبدالرحمن سبيلا إلى مقاتلتهم بسبب كثرة الثلوج وفيضان الأنهار، فاضطر إلى أن يعود دون أن يفعل شيئًا[1].

وعند وصوله إلى طليطلة جاءته الأنباء تفيد أن انقلابًا قد حدث فى قرطبة وأن الثوار استولوا على مدينة الزاهرة فاضطربت صفوفهم، واضطر عبدالرحمن إلى أن يعود عن طريق قلعة رباح، ولم يلتفت إلى نصح من طلب منه البقاء فى طليطلة، لاعتقاده أن الناس سترحب به إذا رأوه يقترب من قرطبة[2].

وكان السبب الرئيسى للثورة هو استبداد بنى عامر وقهرهم للناس استنادًا إلى قوة قوامها البربر والصقالبة، ثم كانت ولاية عبدالرحمن للعهد واستئثاره برسوم الخلافة والحكم هى الشرارة التى انتقلت منها نيران الثورة إلى كل العناصر الناقمة، وعلى رأسهم #بنو أمية#، وكان المخطط للثورة والمتابع لمراحل تنفيذها «الزلفاء» والدة عبدالملك - التى اعتقدت أن «شنجول» سم ابنها - ثم فتى أموى اسمه «محمد بن هشام بن عبدالجبار بن عبدالرحمن الناصر» كان عبدالملك قد أعدم أباه[3].

لم يكن المروانية وحدهم يرغبون فى القضاء على العامريين، وإنما كان معهم كل العناصر الناقمة من البيوت العربية مضرية أو يمنية، يؤازرهم كل طبقات الشعب، وأحكم هؤلاء جميعًا خطتهم وانتهزوا فرصة خروج عبدالرحمن للغزو ومعه معظم الجيش ليقوموا بالتنفيذ، وفى يوم (16 من جمادى الأولى 299هـ= 15 من يناير 1009م) جاءت الأنباء بأن عبدالرحمن عبر بجيشه إلى أرض النصارى، فقام محمد بن هشام بإنزال ضربته، وهجم على قصر قرطبة وقتل صاحب المدينة، والتف حوله الساخطون، ثم اقتحم سجن #العامرية# وأخرج من فيه، واجتمع حوله المروانية وانضم إليه الناس من كل حدب وصوب، وبعد أن سيطر ابن عبدالجبار على القصر واستولى على كل ما

[1] عبد المجيد نعنعي : المرجع السابق، ص 484.

[2] المرجع نفسه، ص 484.

[3] عبد القادر بوباية: المرجع السابق، ص 400.

فيه من سلاح وغيره، طلب من الخليفة هشام أن يخلع نفسه فوافق، وانتهت بذلك خلافته الصورية التى دامت (33) سنة وتولى الأمر «محمد بن هشام بن عبدالجبار» وتلقب بالمهدى فى (17 من جمادى الآخرة 399هـ = 16 من فبراير 1009م) وجاءه الناس مهنئين، وما شعروا أن تلك هى بداية الفتنة التى ستطيح ليس بالدولة العامرية وحدها بل وبالخلافة بكل ما تمثله[1].

وفى اليوم التالي قام الثائرون بهدم مدينة الزاهرة وقصورها، وأحست الحامية المنوط بها الدفاع عنها أن المقاومة غير مجدية ففتحوا أبواب المدينة شريطة أن يؤمنهم المهدى، وتم نهب القصور والاستيلاء على كل ما كان فيها من متاع وجواهر، ولم يكتف المهدى بذلك وإنما قام بهدم كل مبانى مدينة الزاهرة وأسوارها بعد أن استولى على كل ما فيها من خزائن وأموال وتحف حرصًا منه على إزالة كل آثار بنى عامر، وأصبحت المدينة أطلالا، وتحولت إلى أثر بعد عين[2].

وقد حاول «عبدالرحمن» وهو فى «طليطلة» بعد أن بلغته أخبار الثورة أن يتنازل عن ولاية العهد مكتفيًا بالحجابة، فلم يلتفت إليه أحد ثم سار إلى قرطبة، ولما اقترب منها تركه جند البربر وفروا فى جنح الظلام، ثم تمكن الخليفة الجديد من مطاردته وإلقاء القبض عليه وهو مختبئ فى أحد الأديرة، وقتله فى (3 من رجب 399هـ = 3 من مارس 1009م)[3].

وهكذا انتظر الشعب أول فرصة وأطاح بالسيطرة التي فرضها العامريون، ولم يشفع لذلك النظام ما تحقق على يدى المنصور من أمن واستقرار عم ربوع الأندلس وكانت تلك الثورة بداية مرحلة من الفتن والفوضى الشاملة التي أنهت وجود الحكومة المركزية، وقضت على الخلافة الإسلامية، ومزَّقت الأمة وجعلتها أشلاء متناثرة. ولم يكن محمد بن

[1] سليم حاج سعد: الكتابة التاريخية والفتنة القرطبية – دراسة تحليلية في المصادر العربية ، رسالة ماجستير ، نوقشت جوان 2008، جامعة قسنطينة

[2] عنان، المرجع السابق، ج7 ،ص 912.

[3] ابن الخطيب، الاحاطة ...، ج7 ،ص 441.

هشام بن عبدالجبار شخصًا مناسبًا لهذه الفترة، إذ كان قليل التفكير لا يعرف شيئًا عن الدولة وشئونها أحاط نفسه بطائفة على شاكلته لا تحسن غير النهب والسرقة ولم يكن يحركهم إلا شيء واحد هو الانتقام من العامريين، وإهانة البربر، عقابًا لهم على تأييدهم بنى عامر[1].

**سقوط الخلافة الأموية في الأندلس**

استمرت الخلافة الأموية في الأندلس تجمع بين السلطتين الزمنية والروحية خمسين سنة، فقد أسسها عبد الرحمن الناصر لدين الله سنة 316 هـ/ 929 م[2]، هذا الرجل الذي أعاد بناء الدولة الأموية بعد أن قاربت على السقوط وهي تتخبط في الفتن والاضطرابات، والذي تولى الإمارة في ربيع الأول سنة 300هـ/ 15 أكتوبر 912 م وهو لم يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره، ولم يكن تحت سيطرته أكثر من العاصمة قرطبة وضواحيها، فأخذ بجد ينظم الدولة ويوحدها ويقويها إلى أن تم له ذلك بعد أكثر من ستة عشرة سنة[3].

حكم الخليفة عبد الرحمن الناصر خمسون سنة، وصلت خلالها الأندلس إلى درجة كبيرة من القوة والمكانة، فاستقرت الأوضاع السياسية، وازدهر الاقتصاد وانتعشت العلوم وتطورت، حتى اتجهت إليها أنظار الدول الأوربية وسعت إلى عقد العلاقات الدبلوماسية معها، فتوافدت على قرطبة سفارات تمثل أقواها، مثل بيزنطة وفرنسا وألمانيا والممالك النصرانية الشمالية[4].

خلف عبد الرحمن الناصر أكبر أولاده الحكم المستنصر بالله، الذي بويع يوم وفاة أبيه في الثالث من رمضان سنة 350 هـ/ 16 أكتوبر 961م، وهو في السادسة والأربعين من عمره، فبعد أن رتب أمور الدولة وواجه الأخطار الداخلية والخارجية بحزم، ووجه أكبر اهتمامه إلى

---

[1] عبد القادر بوباية : المرجع السابق، ص 420.

[2] ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : ***المقدمة*** ، تحقيق أحمد الزغبي ، دار الأرقم ، بيروت، ( د ت)، ص 190 .

[3] ابن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) : ***أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام*** ، تحقيق سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1، 2003 ، القسم الثاني، ص 103 .

[4] المقري (أحمد بن محمد) : ***نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*** , تحقيق إحسان عباس , دار صادر , بيروت 1988. ج1 ، ص 103 .

الآداب والعلوم، فازدهرت في عصره حتى وصلت الأندلس إلى قمة تطورها[1]، فاجتمع له في خزانته أكثر من أربعمائة ألف مجلدا تتعلق بمختلف أنواع العلوم في عصره[2]، كما احتضن العلماء وأغدق عليهم الأعطيات وقربهم حتى نالوا حظوة كبيرة عنده[3].

شعر الحكم المستنصر في أواخر عهده بالضعف والمرض، فأوصى لابنه هشام بولاية العهد من بعده وهو لم يبلغ التاسعة من عمره بعد، وقد أخذ له البيعة قبل وفاته، فلما انتقل إلى جوار ربه نفذت رغبته وأصبح ابنه الصغير خليفة للمسلمين في الأندلس[4].

إلا أن الخليفة المؤيد بالله ونظرا لصغر سنه، شكل مجلس للوصاية عليه، وهذا لتسيير شؤون الدولة، بما مهد الطريق لبروز شخصية قحطانية[5] قوية وفريدة من نوعها، لكن من خارج البيت الأموي، وهي شخصية محمد بن أبي عامر، الذي استطاع بدهائه السيطرة على أمور الحكم بعد أن قام بإقصاء كل المنافسين والمناوئين له، فتخلص في البداية من سيطرة الصقالبة، ثم من الحاجب بن عثمان المصحفي، وكذا من القائد غالب، وبعد ذلك أبعد السيدة صبح أم هشام المؤيد بالله[6]، فخلا له الجو بذلك للانفراد بالملك، فتغلب على الخليفة

---

[1] محمد عبد الله عنان : ***دولة الإسلام في الأندلس*** ، العصر الأول ـ القسم الثاني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 3 ، 1408 هـ ، 1988م ، ص508 .

[2] ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد) : ***جمهرة أنساب العرب*** ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 4 ، 1977. ص 92 ، ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) : **الحلة السيبراء** ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 2، 1985 ، ج2 ، ص103.

[3] Dozy : histoire des musulmans d'Espagne , vol 2 , leyden, 1932. p 184. 185.

[4] عبد العزيز فيلالي : ***العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب*** , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر، 1982 ، ص217.

[5] الحميدي (أبو عبد الله محمد ): ***جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس*** ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتب الإسلامية ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط 2 ، 1983 ،ج 1 ، ص 47 .

[6] ابن عذارى (أبو العباس أحمد بن محمد) : ***البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*** ، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الثقافة ،ط 2، بيروت ،1980، ج 2، ص259 ، ابن حزم : ***جمهرة أنساب العرب***، ص 418 ، المقري : ***نفح الطيب*** ، ج1 ، ص 399.

هشام المؤيد وحجره في قصره، لا تراه الخواص ولا العوام[1]، ثم تسمى بالحاجب المنصور سنة 371 هـ / 981 م، كما أمر بالدعاء له على المنابر بعد الخليفة[2].

هذا الوضع، جعل السلطة الزمنية تخرج عن سيطرة الخليفة والأمويين بشكل عام، فلم تبق لهم إلا السلطة الروحية من الدعاء على المنابر وكتابة اسم الخليفة على السكة والطرز[3].

ورغم كل ذلك، فإن المنصور بن أبي عامر قام بأعمال جليلة لصالح المسلمين في الأندلس، حيث أنه نظم الدولة تنظيما دقيقا وأشاع العدل فيها، كما قام بالجهاد ضد الممالك النصرانية الشمالية، وذلك بتنظيم الصوائف والشواتي كل سنة، حيث قام بنحو سبع وخمسين غزوة قادها بنفسه، لم يذق فيها طعم الهزيمة أبدا[4]، فكانت نصرا وعزا لم تبلغه الأندلس إلا في عصره.

استمر الحاجب المنصور يحكم الأندلس ستة وعشرين عاما دون منازع، يحقق الانتصار تلو الآخر على النصارى حتى أعطوا ولائهم له، وقبل وفاته، عهد بمنصب الحجابة لابنه عبد الملك الذي تلقب بعد وفاة أبيه ليلة الاثنين 27 رمضان سنة 392 هـ / 11 أوت سنة 1002م بالمظفر بالله[5].

واصل عبد الملك المظفر حكم الأندلس باسم الخليفة هشام المؤيد بالله على سيرة أبيه المنصور، فاحتفظ بالسلطة الزمنية تاركا السلطة الروحية الاسمية للخليفة المحجور عليه[6]، إلا أن فترة حكمه لم تتعد السبع سنوات، وبعد وفاته سنة 399 هـ / 1009 م خلفه أخوه الملقب

---

[1] ابن عذارى : المصدر السابق ، ج2 ، ص 276 .

[2] ابن سعيد المغربي ( عبد الملك بن سعيد ) : ***المغرب في حلى المغرب*** ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، 1964 ، ج 2 ، ص20.

[3] ابن الأبار : ***الحلة السيراء*** ،ج1 ، ص 269 .

[4] ابن الخطيب : ***أعمال الأعلام*** ، القسم الثاني ، ص 68 .

[5] ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 301 .

[6] المقري : ***نفح الطيب*** ، ج1 ، ص423 .

بشنجول وهو في الخامسة والعشرين من عمره[1]، هذا الأخير الذي لم يكن يتمتع بالصفات التي كان يتمتع بها أبوه وأخوه من قبل، بل وأكثر من ذلك فقد وصف بـ "الطيش والخلاعة والمجانة"[2].

جرى عبد الرحمن بن المنصور على سنة أبيه وأخيه في الحجر على الخليفة هشام المؤيد بالله، ولم يمض طويلا على توليه الحجابة، حتى طلب من الخليفة أن يعطيه ألقابا سلطانية لم تكن لأبيه وأخيه من قبل، فما كان من الخليفة المغلوب على أمره إلا أن أعطاه لقب المأمون، ثم ناصر الدولة[3]، إلا أن عبد الرحمن لم يتوقف عند هذا الحد، بل وأكثر من ذلك ذهب إلى ما لم يذهب إليه أبوه ولا أخوه، ولا تجرأ عليه أحد من خارج البيت المرواني من قبل، حيث أجبر الخليفة هشام أن يعطيه ولاية العهد من بعده، رغم أن خروج الخلافة من قريش كان متعارضا في ذلك الوقت مع المعتقد السني على الأقل[4]، فما كان من الخليفة إلا أن استجاب لطلبه[5] وجعله وليا لعهده.

لقد كان لهذه الحادثة التأثير البليغ على مجرى الأحداث في الأندلس، فأهل قرطبة اعتبروا ذلك أكبر محنة، إلى درجة أن عزوا بعضهم بعضا[6]، كما أن عبد الرحمن شنجول قام بتولية ابنه عبد العزيز خطة الحجابة ولقبه بسيف الدولة، فأصبح ذلك الطفل الصغير حاجبا للخليفة، فكانت هذه الحادثة مما زاد في تأليب أهل قرطبة ضد شنجول، ودفعهم إلى التآمر عليه[7].

---

[1] ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 41 .

[2] النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) : ***نهاية الأرب في فنون الأدب*** ، تحقيق أحمد كمال زكي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1980 ، ج23 ، ص407 ، ابن الخطيب : ***أعمال الأعلام*** ، القسم الثاني، ص 88.، ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد) : ***الكامل في التاريخ*** ، تحقيق نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط 2 ، 1967، ج7 ، ص 84.

[3] ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 40 ، ابن الخطيب : ***أعمال الأعلام*** ، القسم الثاني، ص 85 .

[4] ابن خلدون : ***المقدمة*** ، ص 222 .

[5] ابن حزم : ***جمهرة أنساب العرب***، ص 92.

[6] ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 47.

[7] الصوفي خالد : ***تاريخ العرب في أسبانيا ــ نهاية الخلافة الأموية في الأندلس***، دار الشرق ، حلب ، ط 1 ، ( د ت ) ، ص 126.

ومن هنا بدأت فصـــول الفتنة القرطبية التي أســـقطت العامريين وأبعدتهم عن الحكم، وأدخلت الأندلس في دوامة من الأحداث الدامية.

لقد كانت البداية عندما خرج عبد الرحمن بن المنصور إلى الثغور الشمالية غازيا في جمادى الأولى 399هـــ جانفي 1009 م، وذلك رغم التحذيرات التي تلقاها من معاونيه بأن لا يغادر العاصمة قرطبة في مثل هذه الأوضاع[1].

عندما وصلت إلى قرطبة أخبار عبور عبد الرحمن شنجول وجيوشه أراضي العدو، وبدء حربه معهم[2]، قام رجل أموي يدعى محمد بن هشـــام بن عبد الجبار، تتبعه العامة في قرطبة، بالثورة على الخليفة هشـــام المؤيد بالله فخلعوه، ونصـــب هذا الأخير خليفة بعد أن تلقب بالمهدي، وتم ذلك في جمادى الآخر سنة 399 هـ / 1009 م[3].

وفي هذه الأثناء وعندما علم عبد الرحمن بن المنصـــور بما حدث في قرطبة، رجع يطوي المسافات، إلا أن جنوده انفضوا من حوله شيئا فشيئا، وعندما اقترب من قرطبة أرســـل إليه المهدي من قتله واحتز رأسه وحمله إليه، وكان ذلك في اليوم الثالث من رجب سنة 399 هـ / 03 مارس 1009م[4]، وبمقتل شـــنجول انتهت الدولة العامرية التي حكمت الأندلس أزيد عن ثلاثين سنة.

فرح القرطبيون كثيرا بهذه الثورة وما أحدثته من تغييرات، بل وســـاهموا في نهب القصـــور وسبي الجواري مع الثوار، وإلى هذا الحد كان الوضع سيستقر، لولا أن محمد بن هشام المهدي قام بإهانة البربر الذين انضـــموا إليه بعد أن انفضـــوا عن عبد الرحمن بن المنصـــور، ففضـــل عليهم العامة والغوغاء واللصـــوص والمســـاجين الذين أخرجهم من الســـجون فتمادوا في النهب والســـبي إلى منازل البربر، فهتكوا حرماتهم واســـتباحوا أموالهم على أنهم المســـئولون عن تغلب

---

[1] ابن الخطيب : ***أعمال الأعلام*** ، القسم الثاني، ص 90 .

[2] عبد المجيد نعنعي : ***تاريخ الدولة الأموية في الأندلس*** ، دار النهضة العربية ، بيروت ،1986 ، ص 491.

[3] ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 61

[4] ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : ***كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر***, تحقيق خليل شحادة, دار الفكر ، بيروت ، 2000 ، ج4 ، ص 192 ، ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ج2 ، ج213.

العامريين عليهم[1]، هذا الوضـع أدى بالبربر إلى التكتل للدفاع عن أنفسـهم، فالتفوا حول أحد الأمويين وهو هشـام بن سـليمان الذي لقبوه بالرشـيد، وقاموا معه بثورة على الخليفة الجديد المهدي، الذي استطاع القضاء عيها وتمكن من قتل الرشيد[2].

عاد البربر مرة أخرى إلى التجمع، فالتفوا في شوال من سنة 399 هـ/ ماي سنة 1009م حول أموي آخر هو سـليمان بن الحكم، والذي بايعوه بالخلافة ولقبوه المسـتعين بالله[3]، وللقيام بجولة جديدة مع المهدي، اسـتعانوا هذه المرة بالملك القشـتالي شـانجه بن غرسـية، والذي لم يتردد بدوره في مساعدتهم، وذلك انتقاما وتفرقة للمسلمين في الأندلس[4].

توجه البربر والنصـارى لقتال جيش محمد بن هشـام المهدي، والذي خرج لهم في الثالث عشـر من ربيع الأول 400 هـ/ 5 نوفمبر سـنة 1009م، دارت بين الفريقين معركة قنتيش التي انهزم فيها المهدي هزيمة كبيرة، فلجأ هذا الأخير إلى حيلة، حيث أظهر للبربر هشـام المؤيد بالله، وذلك لأنهم كانوا يكثرون من الترحم عليه والمطالبة بدمه[5]، فدعاهم إلى طاعته، إلا أن البربر سخروا منه ولم يقبلوا ذلك، لأنه كان قد أعلن وفاته وصلى عليه بنفسه[6].

وعلى إثر ذلك دخل سليمان المستعين قصر قرطبة، فبايعه الناس بالخلافة ولقب بالظافر بحول الله، قام في هذه الأثناء المهدي بالفرار إلى طليطلة، واسـتعان بحاكم برشـلونة النصـراني ريموند بوريل الثالث وأخيه أرمنجول ( أرمنقد )، وذلك في مقابل تسليم مدينة سالم ودفع مبالغ مالية كبيرة[7].

---

[1] ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 82 .

[2] النويري : الصدر السابق ، ج23 ، ص419.

[3] ابن الخطيب : ***أعمال الأعلام*** ، القسم الثاني، ص107.

[4] المقري : ***نفح الطيب*** ، ج1 ، ص 428 .

[5] ابن بسـام (أبو الحسـن علي) : ***الذخيرة في محاسـن أهل الجزيرة*** ، تحقيق سـالم مصـطفى البدري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1998، مج1، ص26 .

[6] ابن الخطيب: ***أعمال الأعلام*** ، القسم الثاني، ص 107 .

[7] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص 256 .

استعد كل فريق لهذا اللقاء، فكانت المواجهة في منتصف شوال من سنة 400هـ أواخر شهر ماي 1010 م، في مكان يعرف بعقبة البقر el vacar[1]، فكان النصـــر في هذه المعركة حليف المهدي ومن معه من النصارى، وبذلك رجع المهدي إلى منصب الخلافة بعد أن انسحب البربر إلى الجنوب حيث الجزيرة الخضـــراء بغية تجميع أنفاســـهم وانتظار المدد من إخوانهم في العدوة المغربية.

قرر المهدي عقب بيعته مباشـــرة مطاردة البربر قبل اســـترجاع أنفاســـهم، فجمع الأموال وحشـــد كل قادر على حمل الســـلاح إضـــافة إلى النصـــارى الذين كانوا معه، فاجتمع له تســـعة وثلاثون ألف مقاتل[2]،توجهوا نحو الجزيرة الخضـــراء، فكان اللقاء عند وادي آره أو يارو[3]الواقع على مقربة من مدينة مربلة يوم الخميس الســـادس من ذي القعدة ســـنة 400 هـــ/ 21 جوان 1010م، وكان الانتصـــار للبربر بقيـادة زعيمهم ســـليمـان المســـتعين بـالله بعـد أن قتلوا من خصومهم نحو ثلاثة آلاف جندي[4].

عاد المهدي إلى العاصـــمة قرطبة حيث قام بتحصـــينها، إلا أن البربر حاصـــروها مدة طويلة وتمكنوا في النهاية من دخولها، وذلك يوم الأحد لأربع بقين من شوال سنة 403 هـ/ 9 ماي 1013 م، وبهذا عاد سليمان المستعين للمرة الثانية ليشغل منصب الخلافة[5].

ومن بين القواد الذين كان يعول عليهم المســـتعين بالله في قيادة الفرق البربرية، الأخوين علي والقاسم ابني حمود، واللذان ينحدران من نسب الأدارسة العلويين، وإكراما لهما وعلى ما قدماه

---

[1] ابن عذارى : المصـــدر الســـابق ، ج 3 ، ص 94 ، يســـميها النويري في كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب بعقبة الثغر أنظر : ج 23 ص 423 ، e . levi - provençal : histoire de l'Espagne musulmane . tome 2 .maisonneuve et larose .paris .1999 . p 313. وهو مكان يقع شمال مدينة قرطبة على نحو عشرين كيلومترا : أنظر : محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، العصر الأول. القسم الثاني ، ص648.

[2] ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 95 ، 96 .

[3] عبد القادر بوباية : **البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة الفرن الخامس الهجري الحادي عشـر الميلادي** ، رسـالة دكتوراه دولة في التاريخ الإسـلامي الوسـيط ، إشـراف الدكتور غازي جاسـم الشـمري ، وهران ، 2001 ــ 2002 ، ص 295 .

[4] ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 96.

[5] الحميدي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 53.

في قتال المهدي ولى عليا سبتة وطنجة، وولى القاسم الجزيرة الخضراء[1]، هذان الأخوان استغلا مكانتهما وقوتهما بالبربر، وقاما بالخروج على إمامهما سليمان المستعين بالله سنة 404 هـ/ 1013 م، حيث نادى علي بن حمود أنه الخليفة الشرعي، وأن هشاما المؤيد بالله صير له الأمر من بعده عندما أحس بأن سليمان سيقتله، فطلب منه أن ينقذه من أسر البربر وسليمان المستعين[2].

جمع علي بن حمود مؤيديه وأنصاره، وتوجه بهم إلى العاصمة قرطبة، حيث خرج لهم سليمان المستعين وجيشه، فدارت بينهما معركة طاحنة انتهت بهزيمة المستعين بالله وأسره رفقة أبيه وأخيه، وعلى إثر ذلك دخل علي بن حمود العاصمة قرطبة في الثاني والعشرين من شهر محرم سنة 407 هـ الفاتح من جويلية 1016م، وعندما لم يعثر على هشام المؤيد بالله، قام بقتلهم جميعا بيده انتقاما للخليفة الأموي وبحثا عن الشرعية، ثم دعا لنفسه بالخلافة متخذا لقب أمير المؤمنين الناصر لدين الله[3].

حكم علي بن حمود قرطبة لفترة متبعا سياسة منصفة، إلا أن كثرة الاضطرابات جعلته يغير من سياسته إلى الشدة والعنف مع أهل قرطبة، فانقلبت عليه النفوس، ودبر له ثلاثة من فتيانه الصقالبة كانوا من أنصار الأمويين مؤامرة أودت بحياته في الحمام[4]، وكان ذلك يوم السبت الثاني من ذي القعدة سنة 408 هـ/ 23 مارس 1018 م.

تولى أخوه القاسم بن حمود منصب الخلافة في قرطبة يوم الثلاثاء 08 ذي القعدة 408 هـ/ 29 مارس 1018م وتلقب بالمأمون، فاتبع مع أهل قرطبة سياسة تقوم على اللين والمسالمة تأليفا للقلوب، إلى أن هدأت الأوضاع واستقرت، استمر هذا الوضع نحو أربع سنوات[5]، إلى أن نازعه في الأمر ابن أخيه يحيى بن علي بن حمود، طالبا الخلافة لنفسه على أنها كانت لأبيه من

---

[1] ابن بسام : المصدر السابق ، مج 1 ، ص 60.

[2] ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 3 ، ص114 ، ابن الخطيب :***أعمال الأعلام*** ، القسم الثاني، ص 122.

[3] سعدون نصر الله : ***دولة الأدارسة في المغرب والأندلس*** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط 1 ، 1996 ، القسم الثاني ، ص 73.

[4] ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 12 ، ا ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ج2 ، ص133، ابن بسام : المصدر السابق ، مج 1 ، ص62 ، المراكشي (عبد الواحد بن علي) : ***المعجب في تلخيص أخبار المغرب*** ، تحقيق خليل عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1998 ، ص 37 .

[5] ابن الخطيب : ***أعمال الأعلام*** ، القسم الثاني، ص 124 .

قبل، فشكل يحيى بن علي قوة كبيرة وزحف بها على العاصمة قرطبة، ونتيجة لذلك فر القاسم منها بعد أن تخلى عنه معاونوه، فدخلها يحيى بن علي بن حمود في الثاني والعشـــرين من ربيع الآخر سنة 412 هـــ/ 05 أوت 1021م، وبويع بالخلافة متخذا لقب المعتلي، وضل كل منهما يدعي الخلافة لنفسه[1].

لم يعمر هذا الوضـــع الشـــاذ طويلا، حيث قام البربر في قرطبة بخلع يحيى بن علي في ذي القعدة سـنة 413 هـــ/ 06 فيفري 1023م، ودعوا عمه القاسـم بن حمود من مدينة أشـبيلية، فدخلها في الثامن عشر من ذي القعدة سنة 413 هـ[2] /02 فيفري 1023 م.

تميز حكم القاسـم في هذه المرة بالقسـوة على أهل قرطبة وتغلب البربر عليهم، وهو ما جدد المعـارك بين الفريقين والتي انتهـت بهزيمتـه وطرده مع البربر من العـاصـــمـة، وكان ذلـك في 21 جمادى الآخرة سنة 414 هـ/ 09 سبتمبر 1023 هـ[3]، وعلى إثر ذلك قرر أهل قرطبة إعادة الحكم الأموي، حيث اختاروا ســليمان بن عبد الرحمن بن محمد، إلا أنه وفي اللحظة الأخيرة وقبل مبايعته حضـر أموي آخر، هو عبد الرحمن بن هشـام ، والذي فرض نفسـه بالقوة خليفة على الأندلس وتلقب بالمستظهر بالله، وكان ذلك في السادس عشر رمضان سنة 414 هـــ/ 2 ديسمبر 1023م[4].

اتبع المسـتظهر بالله سـياسـة قائمة على الاعتقالات والمتابعات ضـد خصـومه، كما اسـتعان ببعض البربر، الشـيء الذي ألب ضـــده أهل قرطبة فثاروا عليه وقتلوه في الحمام يوم الســبت الثالث من ذي القعدة سنة 414 هـــ/ 17 جانفي 1024 م، ثم أجلسوا مكانه ابن عمه محمد بن عبد الرحمن ولقبوه بالمستكفي بالله[5].

---

[1] ابن الأثير : الصدر السابق ، ج 7 ، ص 286 ، الحميدي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 55.

[2] عبد القادر بوباية : المرجع السابق ، ص 313.

[3] فراد محمد أرزقي : ***القوى المغربية في الأندلس*** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1991 ، ص 46 .

[4] ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 135.

[5] ابن بسام : المصدر السابق ، مج 1، ص 271 ، ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 139.

هذا الأخير والذي لم يكن في مستوى المسؤولية التي أوكلت إليه، حيث كان شغوفا بالشرب والمجون[1]، فعمت الفوضى العاصمة، كما تميز حكمه بالقسوة على أهل قرطبة وخاصة من وزيره الحائك أحمد بن خالد، فأدى كل ذلك إلى خلعه خاصة عندما سمعوا بتحرك يحيى بن علي بن حمود من مالقة إليهم، فقتل المستكفي عند فراره من العاصمة، وهو متنكرا في زي الغانيات يوم الثلاثاء لخمس بقين من ربيع الأول سنة 416 هـ/ 26 ماي 1025 م[2].

وعلى إثر ذلك تمكن يحيى بن علي بن حمود من العودة للمرة الثانية إلى منصب الخلافة، وكان ذلك يوم الخميس لأربع ليالي بقيت من شهر رمضان سنة 416 هـ[3]/09 نوفمبر 1025م.

لم يطل بقاءه هذه المرة في قرطبة كثيرا، إذ غادرها في بداية شهر محرم من السنة الموالية 416 هـ/ مارس 1026م متجها إلى مالقة، حيث كلف وزيره وكاتبه أحمد بن موسى ومعه دوناس بن أبي روح بتسيير الأمور فيها، إلا أن أهل قرطبة سرعان ما ثاروا عليهما يوم الثلاثاء لعشر بقين من ربيع الأول سنة 417هـ/ 12 ماي 1026م[4]، فأنهوا بذلك حكم الحموديين لبلاد الأندلس.

وأجمعوا على إعادة حكم الأمويين مرة أخرى، فاتفقوا على مبايعة هشام بن محمد بن عبد الملك، أحد أحفاد عبد الرحمن الناصر لدين الله، والذي كان متواجدا في حصن البونت الواقعة شمال غرب بلنسية[5]، حيث بعثوا له البيعة يوم الأحد آخر شهر ربيع الآخر سنة 418هـ / حوالي منتصف شهر جوان 1027م، فتلقب على إثر ذلك بالمعتد بالله، وآثر البقاء في حصنه مدة سنتين وسبعة أشهر، إلا أن إلحاح أعيان العاصمة بالقدوم إليهم لاضطراب الأوضاع فيها، اضطره في الثامن من شهر ذي الحجة سنة 420هـ/ 18 ديسمبر 1029م إلى تلبية طلبهم[6].

حكم المعتد قرطبة سنتين بعد مجيئه إليها، لم تكن أفضل من حكم سابقيه، فكثرت الاضطرابات وخاصة بسبب تصرفات وزيره حكم بن سعيد الفزاز، الذي استأثر بالسلطة

---

[1] ابن بسام : المصدر السابق ، مج 1 ، ص 271 ، ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 143.

[2] عبد القادر بوباية : المرجع السابق ، ص 320.

[3] ابن خلدون : ***العبر*** ، ج 4، ص 207 .

[4] عبد القادر بوباية : المرجع السابق ، ص 322.

[5] ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 145. عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ،ص 43.

[6] سعدون نصر الله :***تاريخ العرب السياسي في الأندلس*** ، دار النهضة العربية ، بيروت ط 1 ، 1998 ، ص 187 .

وضيق على أهل قرطبة، فلم يصبروا عليه طويلا كما تعودوا، فقتلوه وطافوا برأسه في المدينة، يوم 12 من شهر ذي الحجة سنة 422هـ[1] / 30 نوفمبر 1031م، وكان ذلك بقيادة أمية بن عبد الرحمن العراقي.

وعمت الفوضى العاصمة، ودخلت العامة قصر الخليفة الذي اضطر إلى الخروج منه مع ولده ونسائه ملتجئا إلى المسجد الجامع، وعند ذلك اجتمع رأي أهل قرطبة على خلع المعتد وإبطال رسم الخلافة نهائيا ، "ونودي في الأسواق والأرباض ألا يبقى أحد من بني أمية ولا يكتنفهم أحد ..."[2]، فأعلن الوزير أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور[3] انتهاء رسم الخلافة جملة لعدم وجود من يستحقها، وجعل الأمر شورى بين الناس، وحدث ذلك في الثاني عشر من شهر ذي الحجة سنة 422هـ[4] 01 ديسمبر 1031م.

هذه هي أهم أحداث الفتنة القرطبية والتي تميزت بالدموية، حيث حكم فيها العاصمة قرطبة عشر خلفاء في مدة ثلاث وعشرين سنة، وهو نفس العدد من الأمويين الذين حكموها منذ تأسيس هذه الأسرة على يد عبد الرحمن الداخل سنة 138هـ[5] 755م والمقدرة بـ 261 سنة.

بعد تتبعنا بإيجاز لأحداث الفتنة القرطبية، علينا أن نتساءل عن الأسباب الكامنة وراء حدوثها، وأسباب ضخامتها، وعدم توقفها حتى أدت إلى ما أدت إليه .

---

[1] ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 146. ابن الأثير : الصدر السابق ، ج 7 ، ص 290.

[2] المصدر نفسه :ج 3 ، ص 152.

[3] هو أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور كان وزيرا زمن الدولة العامرية وبعد اشتعال الفتنة القرطبية ابتعد عن السياسة وشؤونها ، وعند اقضائها وزوال الخلافة الأموية سيطر على مقاليد الحكم في قرطبة فأمن خائفها وأشاع فيها الأمن والأمان ، حيث لم يبرح منزله إلى القصور وإنما كان متواضعا يعود المرضى ويمشي مع الجنائز على سيرة الصالحين ، ولد سنة 364 هـ ، وتوفي سنة 435 هـ أنظر : ابن الأبار : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 30.34 ، ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 185 ، ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 56 ، ابن خاقان(أبو نصر الفتح بن محمد ) : **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**،تحقيق محمد علي شوابكة ، دار عمار، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1983 ، ط 1 ، ص 180.186.

[4] المصدر نفسه : ج3 ، ص 146.

[5] الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد) : ***بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس*** ، تحقيق روجيه عبد الرحمن السويفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1997 .ص 12.

بالدراسة والتحليل لأحداث هذه الفتنة، نلاحظ أن هناك مجموعتين من الأسباب، المجموعة الأولى كانت السبب في اندلاعها وبدايتها، والمجموعة الأخرى ساهمت في استمرارها وعدم توقفها، إلى زوال الخلافة نهائيا، وهذه الأسباب نوجزها فيما يلي :

أولا : أسباب اندلاع الفتنة : هنالك عدد من الأسباب التي أدت لاندلاع الفتنة القرطبية وهي :

**أ ـ سياسة الحاجب شنجول :** لقد كان لسياسة الحاجب عبد الرحمن بن المنصور دور كبير، حيث نستطيع أن نعتبره السبب المباشر[1]، فهو عبارة عن القطرة التي أفاضت الكأس المملوءة أصلا، فقد اتفق عليه أغلب المؤرخين بأنه كان سيء السيرة مجاهرا بالمعصية[2]، أبعد ما يكون عن سيرة أبيه وأخيه، وهذا ما أدى بأهل قرطبة إلى التذمر منه ومن تصرفاته[3].

وبالإضافة إلى كل ذلك فإنه قد طمع بما لم يطمع به أبوه ولا أخوه، إذ طمع في السلطة الروحية المتمثلة في الخلافة، إضافة إلى ما لديه من السلطة الزمنية، فأراد بذلك أن يستأثر بما بقي للأمويين من رسوم الخلافة، وهذا بعد أن طلب من هشام المؤيد أن يعهد إليه بولاية العهد من بعده[4]، فكتب له المؤيد عهدا بذلك كان مضمونه[5]: أن الخليفة لم يجد من هو أصلح لولاية العهد من القحطاني عبد الرحمن، وقد كان هذا سببا في القضاء على حكم العامريين وعلى الخلافة الأموية على حد سواء، فقد هز هذا العهد الدولة هزا عنيفا، حيث كبر على المضريين أن ينتقل العرش إلى اليمنيين[6]، وأن تبتعد الخلافة عن قريش، فانبعثت العصبية القبلية.

ومن جانب آخر، فإن ذلك الانقلاب الذي قامت به العامة تحت قيادة محمد بن هشام المهدي، كان كرد فعل على سياسة عبد الرحمن بن المنصور شنجول، لأن الذلفاء أم الحاجب عبد الملك المظفر، كانت تؤمن إيمانا راسخا بأن شنجول هو من قتل ابنها ـ أخوه ـ ودس له السم

[1] الصوفي خالد : المرجع السابق ، ص 116

[2] ابن سعيد : المصدر السابق ، ج 2 ، ص213.

[3] الصوفي خالد : المرجع السابق ، ص 116 ، 117.

[4] عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ، ص 30.

[5] ابن بسام : المصدر السابق ، مج1 ، ص 63 ، 64.

[6] عبد الواحد المراكش : المصدر السابق ، ص 31 .

ليســتأثر بحكم الأندلس من بعده، فقامت بتحريض الأمويين على الانتقام من العامريين ثأرا لابنها، بالرغم مما أغدقه شنجول من أموال عليها وعلى عائلة أخيه[1].

**ب ـــ زوال هيبة الخليفة من نفوس الأندلســيين :** ومن الأســباب المهمة والمؤثرة في اندلاع الفتنة القرطبية، زوال هيبة الخليفة من نفوس الأندلسـيين، لأن الخليفة الحكم المسـتنصـر، جعل ولاية العهد لابنه الصغير هشـام ابن الإحدى عشـر سـنة[2]، هذا الصبي لم تكن له القدرة على تسـيير الأمور بشـكل صحيح فلم يحكم الأندلس، وإنما حكمت من طرف مجلس الوصـاية الذي يضـم كبار الدولة ووزرائها، إلا أن السـلطة آلت بشـكل كامل للحاجب ابن أبي عامر، ذلك الرجل الطموح إلى السـلطة والسـيطرة، حكم باسـم هشـام المؤيد بناء على شـرعيته، فتمادى في السـيطرة والبروز كحاكم أوحد للبلاد، وذهب إلى الحجر على الخليفة هشـام، وأبعد أمه صـبح الطموحة وحجر عليها هي الأخرى بالرغم من أنها هي السبب في ترقيته والوصول إلى دفة الحكم، حتى قل من يعرف الخليفة لعدم رؤيته منذ تولية ابن أبي عـامر الحجابة، فكان عند خروجه للنزهة يجعله بين جواريه وهم جميعا يلبســون برانس متشــابهة فلا يعرف منهن، وإذا ســافر المنصــور وكل بالمؤيد من يفعل معه ذلك[3]، كما منع الناس من الدخول إليه إلا بإذنه، فجعل وجهة عمال الأقاليم ومراسلاتهم إليه وفي مقره الجديد مدينة الزاهرة[4].

إن مثل هذه الأعمال، والتي هي بمثابة الفصــل بين الســلطتين الزمنية والروحية، أدت في النهاية إلى الاستهانة بالخليفة ومركزه، وهو ما أثر على زوال هيبة منصب الخلافة أصلا.

وللدلالة على ذلك، فإننا نجد أن الخليفة هشــام المؤيد شــاعت عليه أخبار كثيرة رغم مبالغاتها في بعض الأحيان بالتخلف والســذاجة[5]، وما كانت لتشــيع هذه الأخبار لو كان يتمتع بمكانة في نظر الأندلســيين، وكل ذلك أدى في النهاية إلى ما لم نســمع به في تاريخ الأندلس قبل الفتنة رغم كثرة الثورات، وهو التجرؤ على طلب الخلافة أو ولاية العهد بهذه البساطة، وخاصة

---

[1] سعدون نصر الله : ***تاريخ العرب السياسي في الأندلس*** ، ص 157

[2] ابن حزم : ***جمهرة أنساب العرب*** ، ص 100

[3] المقري : ***نفح الطيب*** ، ج1 ، ص 592.

[4] النويري : الصدر السابق ، ج23 ، ص 404.

[5] ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ج2 ، ص149، ابن عذارى 3/ 79 ، ابن الخطيب : ***أعمال الأعلام*** ، القسم الثاني، ص 61 ، المقري : ***نفح الطيب*** ، ج1 ، ص 591.

إذا كان الطالب لها من خارج البيت المرواني، وكدليل آخر على ما نذهب إليه، وهو أن نسمع بخليفتين يتصالحان ويعترف كل منهما بشرعية الآخر أو أن يجتمع أربع خلفاء في مكان صغير جدا وكل منهم يدعى له في مكانه بالخلافة[1].

**ج . طبيعة المجتمع الأندلسي واختلال توازنه :** لقد كان لطبيعة المجتمع الأندلسي واختلاف أجناسه دور في اندلاع الفتنة القرطبية، حيث كان يضم العرب والبربر والمولدين والمسالمة والأسبان المستعربين واليهود[2]، هذه الأجناس لم تنصهر تماما طوال حكم المسلمين للأندلس، اندمجت في فترات لكنها لم تصل إلى درجة الانصهار، وقد أثرت هذه الأجناس المختلفة في كثرة الثورات على طول التاريخ الأندلسي، وذلك إذا ما قارناها بمناطق أخرى مثل المغرب أو مصر أو بلاد الشام، فقد كان للأندلسيين ميل للثورات والخروج[3]على السلطة المركزية.

كما أن المجتمع الأندلسي كان يعاني قبل الفتنة اختلالا كبيرا في التوازن، وذلك أثناء حكم العامريين له، حيث كان الجيش في السابق مشكلا من أجناس مختلفة، فأدخل عليه المنصور بن أبي عامر تعديلا كان حسنا على المستوى القريب، خطير جدا على المستوى البعيد، وهذا باستقدامه للبربر من العدوة المغربية[4] بشكل كبير وسريع، فلم يكن هناك وقت كاف لاندماجهم في المجتمع الأندلسي، فبقوا معزولين عن باقي الأندلسيين وهم يشكلون أغلب عناصر الجيش.

أراد المنصور بهذا التعديل القضاء على العصبية العربية خاصة، إلا أنه كان يقضي على أسس الدولة من حيث لا يدري، فكلما ضعفت العصبية ضعفت الدولة وكثر طلابها، وهذا حسب رؤية ابن خلدون[5]، وبما أن العامريين قاموا باغتصاب السلطة الفعلية، فإن الأندلسيين نظروا إلى الجيش المغربي نظرة المتورط في العملية[6].

---

[1] ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد) : **رسائل ابن حزم الأندلسي ـــ رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء** ، تحقيق إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1981 ، ج 2 ، ص 97 .

[2] حسين مؤنس : ***فجر الأندلس*** , الدار السعودية. السعودية ، ط 2 ، 1985, ص 335.

[3] المقري : ***نفح الطيب*** ، ج1 ، ص 216 .

[4] ابن بسام : المصدر السابق ، مج4 ، ص 50 ، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج7 ، ص120.

[5] ابن خلدون : ***المقدمة*** ، ص 290

[6] الصوفي خالد : المرجع السابق ، ص 229 .

وقد كان المنصور على علم جيد بهذا الخلل، ونلاحظ ذلك في وصاياه لابنه المظفر بالله قبل وفاته[1]، كما ذكرت أخبار عن تحسر المنصور كلما تذكر تنبؤات بقرب خراب مدينة الزاهرة[2]، كما يظهر ذلك الاختلال جليا عند بعض الشعراء الذين هجوا المنصور حجره على الخليفة، فقال أحدهم :

اقترب الوعد وحان الهلاك  وكل ما تحذره قد أتاك

خليفة يلعب في مكتب  وأمه حبلى وقاض يناك[3]

كل هذه أدلة تعبر عن مدى الشرخ والخلل الذي أصاب المجتمع الأندلسي قبل الفتنة .

ثانيا : <u>أسباب استمرار الفتنة القرطبية</u> :

**أ . ضعف الحزب المرواني :** إن من أهم أسباب استمرار الفتنة وعدم توقفها إلا بعد ما أدت إليه، هو ضعف ذلك الحزب الذي حكم الأندلس لفترة زمنية طويلة، حيث تعود الناس على رؤيته في السلطة، وشاهدوا الأندلس موحدة منتصرة ومزدهرة في ضل سلطانه، فلم يعد الحزب المرواني قويا برجاله كما كان سابقا، والسبب يعود في أغلبه إلى سياسة المنصور ابن أبي عامر، وهو الذي عمد إلى إضعافه وتقويضه خوفا من الانقلاب عليه، أو إثارة الفوضى[4]، فقتل من يخشى منه حتى أفنى من يصلح منهم للولاية، ثم فرق الباقي في البلاد وأدخلهم زوايا الخمول حتى قال شاعر ينقم على المنصور :

أبني أمية أين أقمار الدجى  منكم وأين نجومها والكوكب[5]

ويظهر لنا الضعف جليا واضحا في سيرة وتصرفات الخلفاء المتأخرين من بني أمية، ونعني بذلك الخلفاء الذين حكموا زمن الفتنة، فكانوا في أقصى درجات الضعف والهوان، حيث

---

[1] ابن بسام : المصدر السابق ، مج 4 ، ص 47 ، 48 .

[2] ابن الخطيب : ***أعمال الأعلام*** ، لقسم الثاني، ص120.

[3] المقري : ***نفح الطيب*** ، ج1 ، ص 602.

[4] Dozy :opcit . T 2 .P 247 .

[5] المقري : ***نفح الطيب*** ، ج1 ، ص 592.

تحكمت فيهم العامة وسيرت الأحداث بشكل فوضوي، إلى درجة أن يئس الناس من جدوى حكمهم فعمدوا على التخلص منه نهائيا [1].

وقد اشتهر أغلبهم بالانحرافات وسوء الأخلاق، فعلى سبيل المثال كان محمد بن عبد الرحمن المستكفي كما أخبر عنه الحميدي :"في غاية التخلف والهوان، فكان متغلبا عليه ولا ينفذ له أمر"، كما أن هشام المعتد وهو آخر خليفة، كان محبا للهو واللعب والمجون، وذلك على حد قول ابن خاقان[2].

**ب ـ تدخل الممالك النصرانية في الفتنة :** لقد كان للتدخل النصراني دور كبير في استمرار الفتنة وخروجها عن سيطرة الأطراف الحقيقية للنزاع، فقد اتبعت هذه الممالك سياسة انتقامية نفعية لصالحها، حيث حرصت على تحقيق مكاسب مادية وعسكرية وجغرافية، مع التركيز على ضرب المسلمين بعضهم ببعض حتى تنكسر شوكتهم[3].

فعلى سبيل المثال، عندما قام سليمان المستعين بالله بثورته مع البربر على محمد بن هشام المهدي، استعان بالملك القشتالي شانجة بن غارسية بن فرلند، فكان الانتصار حليفهم[4]، وبذلك أصبحت دولة سليمان المستعين مقامة من نصارى قشتالة[5]، أما الخليفة المهزوم، فبدوره لجأ إلى فرنجة برشلونة وأميرها ريموند بوريل الثالث وأخيه أرمنجول "أرمقند"، الذين فرضا عليه شروطا قاسية، وهي تسليم مدينة سالم قاعدة الثغر الأوسط والتي عندما أخليت لهم حولوا مسجدها إلى كنيسة، كما اشترطوا عليه دفع دينارين في اليوم لكل جندي نصراني، ومائة دينار للقومس "الملك" ، وأن يكون لهم كل ما يغتنموه من عسكر البربر[6].

---

[1] ابن الخطيب :***أعمال الأعلام*** ، القسم الثاني، ص 133 ، 134 .

[2] ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد) : ***قلائد العقيان في محاسن الأعيان*** ، تحقيق محمد العنابي ، المكتبة العتقية ، تونس ، ( دت ) ، ص 36 .

[3] رجب محمد عبد الحليم : ***العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف*** ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، (د ت ) ، ص 263.

[4] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص 156.

[5] رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص 264.

[6] ابن عذارى :المصدر السابق ، ج 3 ، ص 94.

وفي نفس الوقت، توجه المهدي إلى الملك القشتالي شانجه عارضا التحالف معه بدل البربر، مقابل أن يعطيه ما أحب من مدن الثغر وحصونه، إلا أن شانجة رفض العرض ليزيد من حدة الخلاف بينهما، فأرسل إلى البربر على الفور ألف عربة محملة بالدقيق والعقاقير والأطعمة، وغير ذلك من المؤن الضرورية[1].

وفي ضل هذا التدخل النصراني، من الصعوبة أن ينتصر فريق على الآخر بسهولة وأن يستقر له الوضع، وكان كل ذلك يحدث ، ولم تمض سنة واحدة على آخر غزوة قام بها المسلمون في أراضي النصارى في الشمال[2].

وقد تكررت هذه التحالفات وخاصة من الملك القشتالي شانجة، والذي كان يتحالف تارة مع البربر وتارة أخرى مع الأندلسيين، وهذا حتى يطيل أمد الصراع فيضرب الطرف الأول بالثاني والعكس[3].

**ج ـ الصراع العلوي الأموي :** بالإضافة إلى كل ما تقدم ذكره، هناك سبب لا يقل أهمية عن الأسباب السابقة، ألا وهو طُفوُّ الصراع العلوي الأموي على السطح من جديد، ولكن على أرض الأندلس هذه المرة، فأصبح للصراع أبعادا كبيرة لها جذورها في التاريخ الإسلامي، وتمثل ذلك في دخول الحموديين العلويين كأطراف في الصراع، وكمنافسين للبيت الأموي على الخلافة[4].

وقد تم وصول الحموديين إلى السلطة بعد أن كانوا من أمراء البربر المعاضدين لسليمان المستعين، ونقصد بذلك الأخوين علي والقاسم ابني حمود من بني علي بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فجدهما إدريس بن عبد الله الذي هرب من هارون الرشيد إلى البربر " فتبربر ولده " على حد قول المقري[5].

---

[1] ابن بسام : المصدر السابق ، مج 1 ، ص 26 .

[2] رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق ، ص 266 .

[3] المقري : ***نفح الطيب*** ، ج1 ، ص 427.

[4] سعدون نصر الله : ***دولة الأدارسة في المغرب والأندلس*** ، القسم الثاني ، ص 74.

[5] المقري : ***نفح الطيب*** ، ج1 ، ص 472.

إلا أن الأهم من كل ذلك، هو قدم الصراع بين البيتين الأموي والعلوي، والذي يرجع إلى الأحداث التي تلت الفتنة الكبرى حيث قتل فيها عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ثم رجوع الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وما تلا ذلك من مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما بعد ثورته على يزيد[1].

فكما ذكرنا سابقا، أن علي بن حمود العلوي وأخوه القاسم انقلبا على سليمان المستعين الأموي، وهذا بعد أن أظهر كتابا قال علي أنه تلقاه من المؤيد هشام، يوليه عهده ويطلب منه الثأر له[2]، فتمكن على إثر ذلك من الوصول إلى منصب الخلافة الذي توارثه بنو حمود العلويين لمدة ،ثم تجدد الصراع بين البيتين[3].

إلا أنه وحتى لا نعطي الموضوع أكثر من أبعاده الحقيقية، لابد من الإشارة إلى أن الحموديين لم يفرضوا على الناس مذهبا، ولا بدلوا لهم عادة، كما أنه لم يثبت أن أحدهم كان يتشيع عدا القاسم بن حمود، والذي كان يتشيع سرا ولا يظهر ذلك للناس[4].

وحسب ذلك فإن للموضوع احتمالين، فيمكن القول بأن الحموديين ربما فعلوا ذلك لأنهم لم تراودهم أصلا فكرة إحياء الدولة العلوية، أو أنهم تريثوا ولم يظهروا ذلك حتى تتم لهم السيطرة التامة على الحكم في الأندلس.

**د ــ جغرافية بلاد الأندلس :** إن طبيعة الأرض في الأندلس ووعورتها، ووجود سلاسل جبلية مرتفعة في الوسط والشمال، مع الأنهار العريضة في معظم أجزائها، كل ذلك كان يزيد من صعوبة السيطرة التامة على البلاد، ويشجع الناقمين على السلطة الحاكمة فيها للخروج عن طاعة الحكومة المركزية في العاصمة قرطبة[5].

---

[1] ابن خلدون : ***المقدمة*** ، ص 248 .

[2] سعدون نصر الله : ***تاريخ العرب السياسي في الأندلس*** ، ص 166 .

[3] المقري : ***نفح الطيب*** ، ج1 ، ص 473.

[4] الضبي : المصدر السابق ، ص50.

[5] الصوفي خالد : المرجع السابق ، ص 96 .

فعندما كانت تنشب الثورات في أقصى الشمال أو الجنوب، كان الجيش يضطر لاجتياز عقبات طبيعية كثيرة حتى يصل إلى مكان الثورة، وهذا الوضع يعطي الثائرين فرصة لتحضير أنفسهم ومحاولة بسط نفوذهم على مناطق جديدة، وزيادة تحصيناتهم قوة ومتانة حتى وصول قوات قرطبة، هذا بالإضافة إلى انتشار الحصون في رؤوس الجبال، حيث يكون احتلالها مستحيلا في معظم الأحيان، وهو ما أدى إلى عجز الحكومة في إخماد الثورات بالسرعة المطلوبة[1].

فمثلا عندما نلقي نظرة على تاريخ المدن المهمة في الأندلس كمدينة طليطلة، أو أي مدينة أخرى، سنجدها قد عرفت عددا هائلا من الثورات على السلطة المركزية، وأن هذه الثورات تستمر أمدا طويلا، مثل ثورة عمر بن حفصون، والتي عجز عدد من أمراء الدولة الأموية في الأندلس على القضاء عليها[2].

ومثل هذه الوضعية لها دور مؤثر في أحداث الفتنة القرطبية، فكانت المدن والأقاليم البعيدة عن العاصمة نادرا ما تكون خاضعة لسيطرة حاكم قرطبة، فأغلب من تولوا منصب الخلافة في الأندلس زمن الفتنة، لم تتعدى سيطرتهم العاصمة وضواحيها[3]، لذلك نستطيع أن نعتبر أن بداية عصر ملوك الطوائف في المناطق البعيدة عن قرطبة، قد بدأ مع اندلاع أحداث الفتنة القرطبية.

كما أن عدم السيطرة على الأقاليم من طرف حاكم قرطبة، يؤدي بطريقة غير مباشرة إلى إضعاف الموارد المالية والعسكرية له، وهو بدوره إضعاف للجيش، فلا تتم بذلك السيطرة التامة على البلاد لأحد المتنازعين وإنهاء الفتنة.

وبهذا نخلص إلى أن لجغرافية الأندلس الصعبة تأثير كبير في استمرار الفتنة، وعدم رجوح الكفة نهائيا لأحد الأطراف المتنازعة على منصب الخلافة.

---

[1] المرجع نفسه : ص 96 .

[2] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص 175.

[3] سعدون نصر الله : ***تاريخ العرب السياسي في الأندلس*** ، ص 164 .

هذه حسب أرجح الآراء أهم الأسباب التي أدت إلى الفتنة القرطبية، وما أحدثته من تحولات جذرية في التاريخ الأندلسي بشكل عام.

وقد جلب موضـــوع الفتنة القرطبية اهتمام عدد كبير من المؤرخين الأندلســـيين والمغاربة والمشـارقة، ممن عاصـروا أحداثها أو جاءوا بعدها، وذلك بسـبب النتائج الكبيرة التي خلفتها على بلاد الأندلس، فتناولوها في مؤلفاتهم التاريخية، فبعضـــهم فصـــل في أحداثها، والبعض الآخر ذكرها في ثنايا كتبه بشـــيء من الاختصـــار، إلا أن الشـــيء الذي يميز كتاباتهم عليها، الاختلاف الكبير في تصوير أحداثها، وكذا مواقفهم حول أسبابها ونتائجها.

## دولة المرابطين في بلاد المغرب والأندلس

**تمهيد:**

شهد «المغرب الأقصى» خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين فترة مزدهرة؛ عُدَّت من أخصب فترات حياته؛ حيث قامت على أرضه أكبر دولتين عرفتهما المنطقة فى هذا الوقت، هما: «دولة المرابطين»، و«دولة الموحدين»، اللتان أبرزتا شخصية «المغرب الأقصى» باعتبارها دولاً مستقلة؛ قامت على أكتاف أبنائها، وبسطت نفوذها على مناطق شاسعة بالشمال الإفريقي، فضلا عن «الأندلس»، وشاركت مع غيرها فى إرساء قواعد الحضارة الإسلامية في غربي العالم الإسلامي، بنظمها، وحضارتها واقتصادها المزدهر، ومبانيها، فضلا عن ثقافتها، وعلمائها ومفكريها[1].

**- الأوضاع السياسية فى بلاد المغرب الأقصى قبل قيام دولة المرابطين:**

أصيبت «دولة الأدارسة» التي أسسها «إدريس بن عبدالله» بالمغرب الأقصى في سنة (172هـ = 788م) بالضعف والاضمحلال بعد دخول جيوش «أبى عبدالله الشيعي» بقيادة «مصالة بن حيُّوس المكناسي»[2] إلى هذه المنطقة فى سنة (305هـ= 917م)، ومن ثَم مرت المنطقة بفترة حالكة في تاريخها، وباتت تدعو على منابرها للفاطميين تارة، ولحكام «الأندلس» تارة أخرى، وخيَّمت عليها المنازعات القبلية والحروب الطاحنة وتوزعت المنطقة بين القبائل المختلفة والأسر المتناحرة، وانقسمت الخريطة السياسية للمغرب الأقصى إلى أربعة تجمعات ، هي:

**1 - منطقة «فاس» وما حولها، وهى خاضعة لأمراء «مغرادة»[3].**

**2 - منطقة «سلاوتادلا»، وكانت خاضعة لبنى يغرن.**

---

[1] ابراهيم القادري بوتشيش : المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص 7.

[2] المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، دار الكتب العلمية، بيروت 1998، ص 61.

[3] ابراهيم القادري بوتشيش: ص 8.

**3 - منطقة «سجلماسة» و«درعة»، وكانت خاضعة لبنى خزردن.**

**4 - إمارة «برغواطة» في سهول «تامسنا».**

أما «فاس»؛ فكانت خاضعة لأمراء «مغرادة»، وقد دخلها «زيري بن عطية» أول هؤلاء الأمراء فى سنة (377هـ= 987م)، واستوطن بها، ثم جعلها قاعدة إمارته، ودخل فى عدة حروب مع «بنى يغرن»، ومع جيوش «الدولة الأموية» التي كان خاضعًا لها، وقد انتهت هذه الحروب بوفاة «زيري» متأثرًا بجراحه في سنة (391هـ= 1001م)، فلما ولى ابنه «المعز» الإمارة أصلح علاقته بالدولة #الأموية# في «الأندلس»، ثم توالى الأمراء على «فاس»، واتسمت فترة حكمهم بكثرة الحروب، وكان «تميم بن معتصر بن حماد» الذى تولى فى سنة (460هـ= 1068م) هو آخر الأمراء، وقد دخل في صراع طويل مع «المرابطين»، ولكنهم نجحوا في دخول فاس في سنة (462هـ= 1070م)، وقتل «تميم»، وطويت صفحة أمراء «مغرادة»، وتولى المرابطون السلطة[1].

أما منطقة «سلاوتادلا»، فكانت خاضعة لأمراء «بنى يغرن»، الذين دخلوا في صراع مع أبناء عمومتهم من أمراء «مغرادة»، وكان آخر أمرائهم هو «محمد بن تميم بن زيرى» الذى تولى الإمارة في سنة (448هـ= 1056م)، وقتل على أيدى المرابطين في سنة (462هـ=1070م).

أما «سجلماسة» و«درعة» فقد تولى حكمها «بنو خزردن» في سنة (366هـ= 976م)، واستمروا فى الحكم حتى أسقطهم #المرابطون# في سنة (477هـ= 1084م).

أما إمارة «برغواطة» - التي احتلت المناطق الساحلية جنوبي «طنجة» إلى «آصيلا» واشتملت على مناطق «تامسنا»- التي أقامت بها عدة قبائل من «زناتة»، فقد دخلت هذه

[1] ابن أبي زرع : الأنيس المطرب، تحقيق بن منصور، الرباط، 1973، ص 221.

الإمارة فى صراع مع «بنى يغرن»، و«الأدارسة»، ثم مع المرابطين الذين قضوا على الحكم فيها، وغيروا سياستها ونظمها[1].

**قيام دولة المرابطين:**

قامت «دولة المرابطين» على أساس دعوة دينية، نمت وازدهرت فى «ديار الملثمين» بجنوب «المغرب الأقصى» بفضل جهود الفقيه المالكي «عبدالله ابن ياسين»، الذى تمتع إلى جانب علمه وفقهه ببعد النظر ونفاذ البصيرة، وتوجه إلى قبيلة «جدالة» بصحبة زعيمها «يحيى بن إبراهيم»، ففرحت بمقدمه، ثم ما لبث هذا الفرح طويلا حتى تحول إلى جفوة وإعراض حين بدأ «ابن ياسين» في تغيير ما ألفوه من عادات وملذات تخالف أحكام الدين، وحسبه الزعماء والنبلاء ينتقص من حقوقهم، ويُسوِّى بينهم وبين مواليهم، وساءت العلاقة بينهم وبين «ابن ياسين» ونهبوا داره وهدموها، واضطر هذا الفقيه إلى الرحيل بمن تبعه إلى جزيرة منعزلة بالسنغال. وبدأ «ابن ياسين» في هذه الجزيرة بإعداد التلاميذ ونشر الدعوة، فذاع صيته، وكثر عدد أتباعه، فأطلق عليهم لقب: «المرابطين»، ومضوا في تنفيذ ما أمر به[2].

وقد بدأ المرابطون نشر دعوتهم بين قبيلة «جدالة» التي تمردت على «ابن ياسين» من قبل، فقصدوا قبيلتي «لمتونة» و«سوقة» ونجحوا في نشر دعوتهم بينهما، فكان ذلك مدعاة لانضواء بقية القبائل تحت لوائهم[3].

انتقال السلطة إلى قبيلة لمتونة:

تُوفِّى الأمير «يحيى بن إبراهيم الجدالي» في سنة (447هـ= 1055م)، فاختار «ابن ياسين» «يحيى بن محلاكاكين اللمتوني» قائدًا لجند المرابطين، فنقل بذلك السلطة العسكرية من «جدالة» إلى «لمتونة» التي كانت تتمتع بمكانة مرموقة بين بقية «قبائل

[1] ابن الخطيب : المصدر السابق، ج2 ، ص 225.

[2] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6، ص 244.

[3] ابراهيم القادري بوتشيش: ص 13.

الملثمين»، فضلا عن سيطرتها على طرق التجارة الساحلية، وهكذا ظهرت قبيلة «لمتونة» على مسرح الأحداث، وتتابع أبناؤها فى السلطة حتى نهاية حكم المرابطين[1].

وفى سنة (447هـ= 1055م) استغاث فقهاء «درعة» و«سجلماسة» بعبدالله بن ياسين لإنقاذ بلادهم من الفساد والظلم، فاستجاب لهذه الدعوة، وخرج بجيشه متوجهًا إلى «درعة» و«سجلماسة»، وتمكن من القضاء على أمراء «مغرادة»، وولى المرابطون عمالا تابعين لهم على هذه البلاد[2].

ولم يستمر الهدوء طويلاً بمدينة «سجلماسة» وقامت بها ثورة؛ اضطرت المرابطين بقيادة «يحيى بن محلاكاكين» إلى العودة إليها، ونجحوا فى إخماد ثورتها، إلا أن قائدهم «يحيى اللمتونى» استشهد في المعركة، فوقع اختيار «ابن ياسين» على الأمير «أبى بكر بن عمر» في سنة (448هـ= 1056م) لقيادة الجيوش، فانتقل «أبو بكر» بالدعوة من مرحلة تلبية نداء المعونة لسجلماسة و«درعة» إلى مرحلة الغزو المسلح للمغرب الأقصى، ودخل مع قبائل «برغواطة» التي اعتنقت المجوسية فى عدة معارك، فأصيب الداعية «ابن ياسين» في إحداها بإصابات قاتلة أودت بحياته فى سنة (451هـ= 1059م). وواصل «أبو بكر» جهاده، وفرَّق جموع «برغواطة»، واستأصل شأفتهم، ثم رجع إلى مدينة «أغمات» التي اتخذها عاصمة له. وقد شاركه في نشاطه المسلح ابن عمه «يوسف بن تاشفين الصنهاجي اللمتوني»، الذى أثبت كفاءة عالية، ومقدرة فائقة، وحقق نجاحًا بارزًا؛ غير أن أحداثًا ما وقعت بالصحراء، جعلت «أبا بكر» يتوجه إلى الجنوب تاركًا قيادة بقية المرابطين لابن عمه «يوسف»[3].

**يوسف بن تاشفين:**

[1] ابن بسام : المصدر السابق، ج2 ، ص 388.

[2] ابراهيم القادري بوتشيش: ص 14.

[3] ابن الخطيب : الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة ، ج2، ص 520.

يعد «ابن تاشفين» المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين بالمغرب الأقصى، وقد تجمعت فيه صفات الزعامة والشجاعة والقيادة والحزم، والتفت حوله قلوب المرابطين، وشرع في بناء مدينة «مراكش» عاصمته الجديدة في سنة (454هـ= 1062م) ونجح في بسط نفوذه على «المغرب الأقصى» في سنة (467هـ= 1074م). وقد نجح ابن «تاشفين» إلى جانب توحيد «المغرب الأقصى» في وقف الزحف النصراني على «الأندلس»، وضمَّها إلى «دولة المرابطين» التي اتسعت أطرافها وزادت خيراتها، وتمتعت بالازدهار والرقي في مختلف المجالات، ثم مرض «يوسف» فى سنة (498هـ= 1104م)، ثم أسلم روحه في سنة (500هـ= 1106م) ودفن بمدينة «مراكش»[1].

**على بن يوسف بن تاشفين:**

ولى الأمير «على» الحكم واقتفى سياسة والده، وسار بين الناس بالحكمة والعدل، واستعان بالفقهاء والعلماء في حكم البلاد، فتبوأ مكانة طيبة في نفوس رعيته.

ومضى «على بن يوسف» في استكمال الجهود الحربية التي بدأها والده بالأندلس، وعبر إليها بنفسه أربع مرات؛ لتثبيت سلطان المرابطين، ومواجهة الهجمات المتكررة للمسيحيين، فأحرز انتصارات كبيرة، ونال رضا الخلافة العباسية[2].

**تاشفين بن على:**

تُوفِّي الأمير «على» فى سنة (537هـ= 1142م)، فتولى ابنُه «تاشفين» الحكم من بعده، فدخل فى صراع مع دولة «الموحدين»، ولم تفلح جهوده فى صد موجاتهم المتتابعة، وانتهى به الأمر إلى «وهران»؛ حيث قُتل فى سنة (539هـ= 1144م)، فَفَتَّ ذلك فى عضد الدولة، وسقطت أجزاء كثيرة منها فى أيدى الموحدين[3].

---

[1] المراكشي : المصدر السابق ، ص 255.

[2] عصمت عبد اللطيف دندش : أضواء جديدة على المرابطين ، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، 1991، ص 53.

[3] محمد عبد الله عنان : المصدر السابق، ق 3 ، ص 131.

**إسحاق بن على:**

حاول المرابطون الاحتفاظ بكيانهم المتداعى، وأمَّروا عليهم «إبراهيم بن تاشفين» إلا أنه لم ينعم بالسلطة طويلا، حيث نازعه عليها عمه «إسحاق بن على ابن تاشفين»، وتولى مكانه، ولكنه لم يستطع أن يدفع حصار الموحدين بقيادة «عبدالمؤمن» خليفة «ابن تومرت» حول العاصمة «مراكش» فى سنة (541هـ= 1146م)، فسقطت «مراكش» فى يد «عبدالمؤمن» الذى أعمل فيها السيف وقضى على كثير من أهلها، وترتب على ذلك سقوط «دولة المرابطين»[1].

**عوامل سقوط دولة المرابطين:**

ضعفت القيادة العليا للمرابطين منذ تولى «على بن يوسف» حكم البلاد، واستبد كثير من الأمراء بالأمر، ثم جاء الخلاف الخطير بين «إبراهيم بن تاشفين» وعمه «إسحاق بن على» على السلطة، فى الوقت الذى كان يزحف فيه #الموحدون# نحو العاصمة «مراكش».

يضاف إلى ذلك تخاذل الجند، فضلا عن الحروب المستمرة التى خاضوها بالأندلس، فاستنزفت قواهم واقتصاد بلادهم، وظهور شخصية «ابن تومرت» الذى نجح فى جذب أعداد كبيرة إليه. فكان ذلك كله من أسباب سقوط «دولة المرابطين» وقيام «دولة الموحدين»[2].

**العلاقات الخارجية لدولة المرابطين:**

تركزت علاقات المرابطين في جبهتي «الأندلس» و«الدولة العباسية»؛ حيث هبوا لنجدة «الأندلس» من النصارى الإفرنج، ثم قرروا -بعد عدة معارك- ضمها إلى دولتهم، وظلت المعارك هى الطابع المميز لعلاقة المرابطين بالممالك الإفرنجية فى الشمال الأندلسى.

[1] المرجع نفسه، ص 135.

[2] سوادى عبد محمد : المرجع السابق، ص 158.

أما علاقتهم بالعباسيين فقد بدأت بعد أن قاموا بنشر دعوتهم بأرجاء «المغرب الأقصى»، ومن ثم اتصلوا بالخلافة واعترفوا بسلطة الخليفة الروحية فى العالم الإسلامى، وطلبًا لتأييد «الخلافة العباسية» لهم، وفى ذلك دعم لدعوتهم التى تأسست عليها دولتهم، وكان الترحيب والاستجابة سمة العلاقة بين الجانبين[1].

علاقات المسلمين بالممالك النصرانية

كانت شبه الجزيرة الأبيرية[2] مقسمة الى قسمين :

الجزء الشمالي تحت حكم النصارى .

الجزء الجنوبي تحت حكم المسلمين .

قوى أمر النصارى منذ عام (172هـ_188)،وتكونت مجموعة من الممالك النصرانية وهي : أرغون ،برشلونة، نافار ،قشتالة وكانت الإمارات النصرانية تستمد العون والتأييد من مملكة افرنجة وعهد فرننادو الأول[3]. امتد حكمه من(426هـ_458) (1035_1065)[4] وهيأت الفرصة لفرض سيطرتهم السياسية على الأندلس ، في ظل تفكك وحدة المسلمين .

### ❖ استراتيجية النصارى في الحرب ضد المسلمين:

---

[1] عصمت عبد اللطيف دندش: المرجع السابق، ص70.

2 سميت الجزيرة لاحاطتها :بمياه البحر الرومي ،وبحر الظلمات ،من الشرق والغرب والجنوب وكان لفظ بلاد الأندلس يشمل الجزيرة الإبيرية كلها لما كانت تحت سلطة المسلمين وأصبحت تدعى الأندلس الاسلامية ،أنظر عصام الدين عبد الرؤوف الفقي :دراسات في تاريخ المغرب والأندلس،دار الفكر العربي ،القاهرة ،1993،ص،ص34.33. .

_ كمال أبو مصطفى : محاضرات في تاريخ الغرب الاسلامي وحضارته ،مركز الاسكندرية للكتاب، مصر ،د ،ط207،ص263.

3 فرننادو الأول : الابن الأكبر لسانشو الكبير،وهو ملك قشتالة ويعتبر أقوى ملوك اسبانيا في تلك الفترة ،اشتدت في عهده حروب الاسترداد ،وأصبحت أكثر قوة ،ترك إمبراطورية كبيرة وتقاسمها أبناءه :أنظر:يوسف أشياخ :تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ،تر،محمد عبد الله عنان ،المطابع الأميرية د،ط،د،ج2،2011،ص120.

4 محمد عبده حتاملة: مدخل الى دراسة تاريخ الأندلس ،مطبعة الجامعة الأردنية ،د،ط،عمان_ الأردن،2010م،ص115

كان شروع في الاسترداد النصراني [1]،يهدف الى تهجير السكان من أراضيهم قبل أخذهاواإستعمارها وإعادة الانتشار فيها،كان شانجة هو باعث هذه الحركة الكبرى ،والتي اتخذت في عهد ولده فرلند طابعا عالميا .فلقد طرأ تقسيم بعض الدول خلال عصر الطوائف تبعا لتقسيم كل منطقه حسب خصوصية كل تلك المرحلة .فكانت مملكه طليطلة وسرقسطة قد حافظتا على مكانتهما كقاعدتين للثغر الأدنى والأوسط .ومملكة بطليوس قاعدة الثغر الغربي .

علاقة مملكة الثغر الأعلى بالممالك النصرانية :

كانت مملكة سرقسطة قاعدة الثغر الأعلى. من أعظم ممالك الطوائف لموقعها الجغرافي. بين المماليك الاسبانية، بروز علاقة تجيبيه علاقة حسنة مع ممالك النصرانية .تدير بالولاء والطاعة لهم وبحيث استعان بفرقة المرتزقة بقيادة الكونت راغون أمير برشلونة في قتال البربر وزعيمهم علي بن حمود ،وسعت أسرة لاسترضائهم بالهدايا والتحف لصرف أنظارهم عن بلاده[2] وحتى عهد أسرة بني هود حدث صراع بين سلمان بن هود و المأمون بني ذي صاحب طليطلة ،فطلب العون والمساعدة من فردلند ملك قشتالة واشترط عليه مبلغا كبيرا من المال ،وتوجهت قوات العدو فعاثت فسادا في بلاد الثغر الأعلى ،فنهبوا الحصاد ونقلوه الى بلادهم قال ابن الخطيب عنه (فلم يدع ما يقتاته الطائر)[3] .

وهذه السياسة انتهجها ملوك الطوائف ، بالإستعانه بالممالك النصرانية وصدق الله تعالى :حيث قال:«**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** (51) »[4].

1 ادوارد بروي وآخرون: تاريخ الحضارات العام القرون الوسطى تر: يوسف أسعد داغر، فريد م. داغر، عويدات للنشر والتوزيع، بيروت، د ط،،2003،مج3،ص ص312311 .

2 ابن بسام الشنتريني: المصدر السابق ،ق1،مج1 ،ص112.

3 لسان الدين ابن الخطيب السلماني :تاريخ اسبانية الاسلامية أوأعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ،تح،ليفي بروفنسال،دار المكشوف،بيروت لبنان،ط1956،2،ص179.

4 سورة المائدة الآية 51.

أدت فرصة للأعداء للتطلع على عورات المسلمين ومواطن الضعف فيهم[1]،بضرب ملوك الطوائف بعضهم البعض وتقوية الصراع بينهم أكثر فأكثر. ونهب أموالهم وأخذ حصونهم وقواعدهم.

وتعرضت برشتر [2] ،لحملة عسكرية ، حيث فرض الحصار عليها لمدة أربعين يوما حتى أوشكو سكانها على الهلاك عطشا .وفاوضوا قائد الحملة على التسليم مقابل منحهم الأمان لكن الإفرنج لم يوفوا بالوعد وأعملوا بسيوفهم في سكانها قتلا وتشريدا وسبيا .وارتكبوا مجازر مروعة [3] بحيث كان سقوط هذه القلعة سنة (456هـ_1064) كان سقوطا مدويا في جميع أرجاء الأندلس لكم ثم استعيدت سنة (457هـ_1065)[4] .

علاقة طليطلة مع الممالك النصرانية:

كانت مملكة طليطلة لها حدود واسعة ،[5] مع مملكة قشتالة وليون باعتبار ملك القوط قبل الفتح الاسلامي،فكان النصارى يسعون في قضاء عليها من أجلها ،عرفت فترة حكم المأمون بن ذي النون غلبت عنها حروب وصراعات ، وهدفه التوسع على حساب الامارات الضعيفة المجاورة .فأقام علاقات متينة مع ملوك النصارى في شمال اسبانيا بدفع الجزية والاعتراف بسيادتهم .حتى يتفرغ لمحاربة اخوانه في الدين من المسلمين لاتساع المملكة .

فكان المأمون بن ذي النون خصمين من أقوى المنافسين ابن هود صاحب سرقسطة وابن عباد صاحب اشبيلية، فأستعان كل منهما بملوك النصارى فكان فرديناند الأول

1 ابن عذارى المراكشي :المصدر السابق ،ج3،ص278.

2 مدينة حصينة على بعد 60كلم شمالي ،سرقسطة ،تقع على أحد فروع نهر الابرو،أنظر :عبد المنعم الحميري: المصدرالسابق ص39 .

ابن عذارى المراكشي :المصدر السابق ،ج225،3.

4 ابن بسام الشنتريني ،المصدر السابق :ق3،مج3،ص122.

5 سسالم عصام سالم :جزر الأندلس المنسية ،(التاريخ السياسي لجزر البياري ،دار العلم للملايين ،بيروت ،ط1984،1،ص ص188_189 .

يخوض حربا ضد إخوانه ، وتمكن توحيد مملكتي قشتالة وليون .فتفرغ لمحاربة ملوك الطوائف وقادة عدة حملات في بلاد المسلمين ،مما اضطر المأمون مخالفة المظفر بن الأفطس لمواجهة الخطر.

وجد فرديناند بعد توحيده لمملكة اسبانيا ،بتوجيه اهتمامه نحو ملوك وأمراء الأندلس وكان يطمح لاخضاعهم وسلب أموالهم وحصونهم وقلاعهم حتى تفنى أموالهم وبأخذ البلاد بلا مشقة منهم، فهاجمت جنوده مدينة سالم ووادي الحجارة .حتى وصلوا الى قلعة الحنش فألقى عليه المأمون بمقادير كبيرة من الذهب والفضة والأحجار وتعهد بتقديم الجزية.

توفي فرديناند الأول عام(457_1065) [1]وكان قد قسم مملكته بين أولاده الثلاث[2]، شانجة، ألفونسو [3]، وغريسه، فتملك الأول قشتالة وحصل الثاني على ليون [4]

1 عبد الرحمان علي الحجي :التاريخ الأندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة (92_897)(711_1492)،دار القلم ،دمشق ،بيروت ،ط1981،2،ص328 .

2 شكيب أرسلان:الحلل السندسية في الأخبار والآثار ال

أندلسية ،منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ،د،ط،د،ت ج3،ص59 .

3 الأذفوش :تسمية أطلقها العرب على ألفونسو السادس ابن فرديناند الأول ،ملك قشتالة تولى (457_1065) سقطت بيده طليطلة واتخذها عاصمة له وكان ملوك الطوائف وكبيرهم المعتمد بن عباد يدفعون له الجزية سنوية حتى يصرف أنضاره عن بلاده انظر :الزركلي خير الدين :الأعلام ،دارالعلم للملايين ،بيروت ،لبنان،ج6،ص181.

4 من أجل مدن الخلافة و أعظمها ،تقع شمال سمورة بانحراف الى الشرق،تبتعد من ساحل بحر الظلمات (المحيط الأطلسي)أنظر:أبو الفداء ،تقويم البلدان ،ص185

محمود شين خطاب ،قادة فتح الأندلسي ،مج1،ص،68.

وأشتوريش [1] وابنه الأصغر اختصه جليقية [2] والبرتغال وأدى هذا التقسيم إلى نشوء حرب أهلية بين الإخوة. فقد نتج عن ابناءه صراعات فاصتدم الاخوه أدى بأخيهم ألفونسو وتغلب عليهم، وأجبروا على التنازل عن الحكم وطمع شانجة في توحيد اسبانيا تحت لوائه وفر ألفونسوا لاجئا إلى طليطلة [3] فسكناه بطليطلة واطلاعه على عوراتها وأتاحت له فرصته استرداد عاصمة أجداده وقد بلغه خبر مقتل أخيه شانجة فرجع إلى بلاده .تولى ألفونسوا حكم قشتالة (458هـ_479هـ) (1065م_1086م) ونجح في توحيد مملكتي قشتالة وليون وبسط نفوذه على الممالك المسيحية في الشمال واتبع نفس سياسة أبوه فرديناند بالاطاحة بملوك الطوائف [4] واستنزاف ثرواتهم وفرض الجزية وواصل ألفونسو السادس هجماته واضعافهم.

واعتمد سياسته تجاه ملوك الطوائف بإثقالهم بالجزية والإتاوة وشن عليهم غارات متواصلة لتدمير المدن والقلاع والحصون وإضعاف قوتهم حتى يسهل القضاء عليهم بسرعه بعد انهاك قوتهم الاقتصادية[5]وقوتهم قتالية.

1 أشتوريش وهي القسم الثاني من أقسام جليقية وهي الإسم العربي لولاية أستورياس أقيمت فيها الممالك النصرانية ،أبو عبيده الله البكري: المسالك والممالك ، تح، أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الكتاب العربي،1992، ج1،ج2 ،ص913، وكذلك، يوسف أشباخ ، المرجع السابق، ج1، ص10.

2 جليقية، يمتد من نهر در بيروه جنوب حتى الساحل الشمالي لشبه الجزيرة الايبيرية .

3 عبد المقصود عبدالحميد عبية : موجز تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي الى سقوط غرناطة (92_711/897_1492) د،ط، د،ت، ص1460.

4 أحمد بن محمد بن أبي بكرابن خلكان : وفيات الأعيان وأبناء الزمان ، تح، إحساس عباس، دار الصادر، بيروت ،د،ط1977/1797 م مج5، ص25.

ولوفاة المأمون من ذي النون استغل ضعف القادر بن يحي وفرض شروطه عليه وأخذ يرهق عليها بالمغارم [1]. عامًا بعد عام، و ويأخذ منهم الحصن بعد الحصن وقام بغز ومع جيشه بلنسية، فأسرع صاحبها واعترف بطاعته. وطلب منه أبو بكر بن العزيز صاحب بلنسية أن يكون عاملا عليها[2] .

علاقة بنو الأفطس بطليوس مع الممالك والنصرانية:

جهز ألفونسو حملة ضد قورية [3] في الأطراف الشمالية لمدينة بطليوس وكان حاكمها المتوكل بن الأفطس[4]، واقتحمها عند خروج المتوكل وتولى شؤون طليطلة. حتى يتجنب مواجهة ملك قشتالة فسقطت قورية في يد العدو[5] بعدما أهلك سكانها قتلا وحرقا وتعذيبا وأسرا وتشريدا.

علاقته مع ممالك الطائفية غير الثغور:

وجه فرديناند لمد أطماعه وسيطرته على مملكة أشبيلية، فشن حملة عسكرية سنة (455هـ) فأحرق ودمر وغنم وسبي، ورأى المعتضد بن عباد أن عليه الذهاب إلى المعسكر المسيحي، وقدم له بعض الهدايا والتحف ملتمسا رضاءه حتى يتم له البقاء على مملكته يدبر شؤونها.

1 أحمد أرشيد الخالدي :المدن الآثار الاسلامية في العالم ،دار المعتز عمان ،الأردن،2009،ص219.

2 القلقشندي أبي العباس أحمد : صبح الأعشى،دار الكتب الخديوية مصر ،د ،ط .1915 ج5،ص252

3 قورية :مدينه قريبة من ماردة ،وهي أولية البناء لها سور حصين من أحصن المعاقل وأحسن المنازل ،ولها بواد شريفة خصيبة . وهي كثيره الفواكه،وكانت ثغر المسلمين في عصرأمراء الطوائف ،أنظر،أبي عبيده عبد الله بن عبد العزيزبن محمد البكري :المسالك والممالك ،تح،جمال طلبه،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان،ط2003،1،ج1،ص381.

4 ابن خاقان :قلائد العقيان في محاسن الأعيان ،مطبعة التقدم العلمية مصر ،ط1320،1هـ،ص37.نحه

5 مؤلف مجهول :الحلل الموشية ،ص35.

رجب عبد الحليم :المرجع السابق ،ص371.

فكان فرديناند يطمع لاسترداد الأندلس مثل ما قام في شمال بطليوس وطرد المسلمين من قلمرية[1]، و أخرجهم منها وعوضهم بالنصاري (456هـ_1063م) .

واستمر المعتمد بن عباد في دفع الجزية [2] إلى ألفونسو السادس لدعمه وحروبه التوسعية، وكانت سياسته مع اشبيلية وغرناطة وضرب بعضهما البعض واتصل سرا بأمير غرناطة يطالب نفس القدر من الذهب التي وعدت به اشبيلية، ويتوعده بأن يبقى حليفه فكان ألفونسوا السادس يصنع في مكائد والصراع بين أمراء الطوائف [3] ففرض على صاحب غرناطة جزية سنوية قدرها عشرة آلاف مثقال من الذهب وأن يتنازل في نفس الوقت على بعض الحصون، قاشترة ومارش واستمر عبد الله بن الزيري صاحب غرناطة في الخضوع لسلطان ملك قشتالة[4] والتزم بتقديم الجزية السنوية المفروضة عليه حتى يتم حجزهم واستفحال أراضيهم منهم.

1 روذري رينهارت :المصدر السابق ،ج3،ص96

2 أحمد بن محمد المقري التلمساني :نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تح ،إحسان عباس، دار صادر ،بيروت ،د،ط،1968،ج4،ص246

3 محمد عبد الله عنان ،المرجع السابق ،ص384

4 عبد الله بن بلكين :المصدر السابق ،ص97،96

أسباب العبور المرابطي للأندلس

سقوط طليطلة وتعاظم الاشتداد النصراني:

كان إسماعيل بن ذي النون أول حاكم لمملكة طليطلة عام (427هـ/1035م)[1] وتميزت سياسته بعدم تقربه لأمراء الطوائف من المسلمين حتى يتجنب من أطماعهم وكذلك النصارى الراغبين في التوسع، حتى وكذلك المناطق التابعة لها وبعد وفاة اسماعيل المضفر.

في عام (1435هـ-1043م) ورث يحى بن اسماعيل الملقب بالمأمون الحكمَ عن أبيه وكل المناطق التابعة من بلاد الجوف و الشرق[2] إلى بلنسية[3] وشهدت فترة حكمه صراعًا بين الأسر الحاكمة فحدث صراع بين المأمون وعمه أرقم بن عبد الرحمان خشية منه أن يطالب بحقه في الحكم فقام بإرسال أموال وذخائر[4] إلى ملك قشتالة شانجة لنصرته، وأخبرهم بأن عمّه جاسوس فتم قتله من طرف النصارى، واستعان كذلك بالنصارى عندما حدث بينه وبين إمارات الطوائف حاكم سرقسطه سليمان بن هود[5] من أجل مدينة وادي الحجارة فقسم سكانها بين من يميل إلى المأمون ومنهم من يميل إلى سليمان فقام بإرسال ابنه أحمد ودخل إلى المدينة وفرض أمره بها فطلب من الإفرنج، العون والمساعدة منهم ، وصلت له المساعدة من فرناند ودفع له أتاوة كبيرة. فاستغلت القوات

1 أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي :المغرب في حلي المغرب ،تح،شوقي ضيف ،دار المعارف ،مصر د،ط،د،ت،ج2،ص12 .

2 بلاد الجوف يقصد بها الثغر الأوسط ،وكانت قاعدته ،مدينة سالم ،ثم تحولت الى مدينة طليطلة وتشمل بلاد الجوف وسط وشمال الأندلس ،أنظر أحمد مختار العبادي :في تاريخ المغرب والأندلس ،دار النهضة العربية ،بيروت د،ط ،د،ت،ص125.

3 مؤلف مجهول :مفاخر البربر ،تح ،عبد القادر بوباية ،دار الرقراق، للطباعة والنشر ،ط2005،1،ص133

4 سلمى الخظراء الجيوسي :الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،ط1998،1،ج1،ص103.

5 سعد بن عبد الله البشري :الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس مركز الملك فيصل للبحوث ،والدراسات الإسلامية ،الرياض،ط1414،1هـ_1993،ص83 .

المعادية تلك الفرصة ونظمت أعدادا كبيرا من رعاياها لحصاد تلك المحاصيل[1] ونقلها إلى بلادهم. وأثناء تخريب البلاد والاستيلاء على خيراتهم وتعزيز قوتهم في أخ كل خيراتهم وكان ذلك دافعا إلى التفكير بالاستيلاء على بلاد المسلمين[2] باعتمادهم على النصارى وتقدموا صوبَ مناطق دول طليطلة، مخترقين أراضي الدولة لطليطلة الشمالية حتى منطقة وادي الحجارة، وقلعة النهر. كما قام سليمان بن هود بالتحالف مع النصارى وطلب منهم مهاجمة طليطلة التابعة لمأمون بن ذي النون فتم له ما أراد، فخرج النصارى بعدد ضخم ومهاجمته والقيام بغارات متتابعة عليه أثرت على أحوال طليطلة العامة وانتقال أهاليها للضَيّاع فطلب الأهالي الهدنة ومصالحة سليمان بن هود ولم ينته النزاع إلاَّ بوفاة سلمان بن هود.

أمام الهزيمة التي تلقاها المأمون من تحالف بني هود مع النصارى، صوب نظره إلى الغرب إلى أراضي ابن الأفطس، وحدث بينه وبين المظفر ابن الأفطس عدة معارك وقد أعانه في توسع مملكته وزريه بن الحديدي[3] فأسند له التصرف في البلاد ويعاونه ثلاثة آخرين هم الحاج ابن محقور[4] ابن لبون،

1 ابن عذارى المراكشي :المصدر السابق ،ج3،ص278.

2 نفسه،ص278.

3 محمد عبد الله عنان :دولة الاسلام ،ص 85

4 هو يحي بن سعيد بن احمد بن يحي بن الحديدي ،وكان نبيلا مقدما في الثورة له مكانة عند المأمون لا ويقطع في شيئ من الأوامر إلا عن مشورته.

ابن سعيد ابن الفرج[1]. وكان هو مشغولًا ببسط نفوذه وضم قلعة قلهرة[2] لمُلكه قبل أن يصل إليها النصارى و يستولوا عليها وكان فرديناند يطمح لإخضاعهم وسلب أموالهم مدفوعًا بما يمتلكه من الحماسة الدينية والروح القتالية التي يفتقدها أعداؤه المسلمون.

ويدرك أن حرب الاسترداد الشاملة لم يحن أوانها بعد وأن التخلص من المسلمين يأتي على مراحل. أولها استنزاف أموالهم وسلبهم حصونهم وقلاعهم، حتى إذا فنيت أموالهم أُخذتْ البلاد بلا مشقة فعاثت جنوده في الأطراف الشمالية والشرقية لمملكة طليطلة [3] استغاث سكانها بالمأمون بن ذي النون وأبلغوه أنهم سيستلمون للنصارى. لكن المأمون بن ذي النون ألقى لهم بمقادير من الذهب والفضة واعترف لهم بطاعته وتعهّد بتقديم الجزية

وكان هدف المأمون بن ذي النون هو توظيف فرديناند في مشروعه التوسعي على حساب الإمارات المجاورة وكانت مدينة بلنسية حاكمها المظفر بن منصور عبد العزيز بن أبي عامر ذو شخصية ضعيفة ورغّبه المأمون بأخذها ودخل على أساس أنه ضيف، فقام عبد الملك إلى القصر وأحسن ضيافته وإكرامه، وبعد ثلاثة أيام من إقامته في القصر قُبض عليه هو وابنه وأخرجهما خارج بلنسية 450هـ- 1064[4] وبعد ضمه لبلنسية أصبحت مملكة طليطلة من أكبر ممالك الطوائف مساحة و أعضمها شأناً ولُقب أميره بعظيم ملوك الأندلس.

1 هو لبون بن عبد العزيز صاحب القادر بن يحي ملك معقل مربيطر من أعمال بلنسية:ابن الآبار ،المصدر السابق ،ج2،ص167

2 قلهرة :من أعمال تطيلة في شرقي الاندلس : ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار الصادر، بيروت، د. ط، د. ت، مج4، ص 394.

1 يوسف أشياخ :تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ،تر،محمد عبد الله عنان مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ط2 1996، ص ص 51،52

بعد ثلاث سنوات من سقوطها على يد المأمون بن ذي النون، توفي خليفة فرديناند الأول ملك قشتالة وليون تنفست دويلات الطوائف بانقسام أمراء النصارى على أنفسهم بحيث تفرق شمل أبناء فيردناند واستغلوا خلافاتهم حيث أن فرديناند قسم ملكه على أولاده قبل وفاته بعام خشية أن يتنازع بينهم[1]. لكن حدث عكس ذلك واستمر انقسام النصارى الذي كان شانجة طامعًا في توحيد إسبانيا تحت لوائه، فهاجم إخوته خاصة ألفونسو السادس الذي فرّ إلى طليطلة إلى أميرها المأمون بن ذي النون وأخذ فترة بقائه فيها يستكشف الضعف والخلل من خلالها يسمح له القضاء عليها وضمها لمملكته فيما بعد .عاد الفونسو الى ليون (465هـ_1072)عندما سمع خبر وفاة أخيه .وعادت وحدة اسبانيا نصرانية بزعامة ألفونسو السادس الذي سلك مسلك آبائه في التمكين لحركة الاسترداد و بعد أن قوي نفوذه بين الممالك المسيحية ،عاد لخوض حروب ضد ملوك الطوائف لتحقيق أهدافه المتمثلة في القضاء على تواجد المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية واشتد هجماته على المدن الأندلسية كما ساعد المأمون في انتزاع قرطبة من يد المعتمد بن عباد .ودخلها المأمون بن ذي النون وقام بدعم المأمون بن ذي النون في حركته التوسعية .وبعد وفاة المأمون (467هـ28جوان 1074م) وترك ملكه لحفيده يحي [2] الذي سمي باسم جده وتلقب بالقادر،وتولي الحكم سنة 467هـ .وكان الخديعة والغدر سمة الغالبة عليه ويرجع ذلك الى ضعف شخصيته وسوء سياسته [3] و إنشغاله بحياة الترف والبذخ و اللهو.[4]

و وصفه ابن كردبوس بقوله « ضعيف المنه قليل المعرفة ،ربي في أحجار النساء و الدايات، ونشأ بين الخصيان والغانيات ،فملك أمره العبيد وحكم عليه كل خصي

2. شكيب أرسلان : المصدر السابق ،ج3،ص59.

3 اختلف المؤرخين (أن يحي القادر) كان أبنا للمأمون ذي النون فعرف بضعفه وقله حنكته السياسية حتى تم في عهده تسليم مدينه طليطله للقائد ألفونسو السادس ،و ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج5 ،ص110.

3 ابن بسام الشنتريني المصدر السابق ،ق3 ،مج3 ،ص156.

4 بطرس البستاني :معارك العرب في الأندلس ،جمهورية مصر العربية ، القاهرة ،د،ط،2012،ص11.

مولود....»[1] فشهد فترة عهده الكل طامع في مملكته .وخاصة ابن عباد الذي كان بينه وبين جده عداوة .و هؤلاء الأمراء يلجأون الى ملوك النصارى من أجل معونتهم [2] للاستيلاء على حصن أو مدينة من مدن اخوانه المسلمين .وكان القادر أكثر أمراء الطوائف خضوعا لملك قشتالة وليون ألفونسو السادس[3]، وكان يدفع له الأتاوة، ويتنازل له عن القلاع والحصون نظير لحمايته ومساعدته ضد أمراء الطوائف ووقع القادر تحت تأثير عبيده ومواليه فأخذوا يحرضوه على قتل وزيره ابن الحديدي الذي استوصى به المأمون لمعرفة ضعف حفيده لكن سفاهة القادر أصر على قتله. وبعد تخلصه من سلطة وزيره ضن أن الحكم أضحى في يده وحده وبدأت الجماعة الحاقدة تطمع في بلده و أولهم المعتمد بن عباد الذي اشتغل ضعف الملك الجديد وتمكن من استرجاع قرطبة منه كما قام المقتدر بن هود ملك سرقسطة بدوره الى مدينة شنتمرية وحصن مينه واستولى عليها بمساعدة النصارى فتدهور أحوال الداخلية للمملكة بأن حاكمها لم يكن يدافع عن أراضيه وخاصة التي كان يستولى عليها ألفونسو بشكل متتابع بل أن القادر أخذ يبحث ويجمع الأموال التي طلبها ألفونسو منه لاعانته على ثروته .ضاقت طليطلة بالقادر. ورأى أنه يمكن تدعيم علاقاته بملك قشتالة وليون ، فخاطبه من مدينة كونكة ،يلتمس منه عونه ،فأستجاب له ألفونسو وهو يعلم أن الوقت حان لينفذ مشروعه في استرداد طليطلة ورأى في القادر ذلك الملك الضعيف لا يقوى على شيء[4] وباتت ضروف مناسبة لتنفيذ طموحاته .وكانت سياسة الملك ألفونسو سياسة مكر ودهاء لذا حاول أن يستغل أطماع المعتمد بن عباد التوسعية ليضمن حياده في غزو طليطلة [5] ثم أخذ يغير على أطراف طليطلة يخرب ويقتل ويأسر .ثم ضرب الحصار عليها واشترط على القادر أن يسلمه بعض القلاع والحصون لمساعدته .فجلب ذلك سخط الرعية وأنه يفرض عليهم

1 ابن كردبوس: تاريخ الأندلس، تح ،أحمد مختار العبادي ، معهد الدراسات الإسلامية ،مدريد ،د ط، 1971،ص

2 علي أدهم :المعتمد بن عباد ،دار القدس للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت د،ط،د،ت،ص198

3 ليفي بروفسال :الاسلام في المغرب والأندلس ،تر،السيد محمود عبد العزيز سالم ،محمد صلاح الدين حلمي ،مر لطفي عبد البديع ،مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية د،ط،1995،ص135 .

1 نفسه ،ص135.

5 يوسف أشياخ :المرجع السابق ،ج 1، ص60.

ضرائب باهضة لجمعها وتقديمها لألفونسو السادس [1] فأخرجوه من طليطلة وأسرع أهل طليطلة يطلبومن المتوكل عمر بن الأفطس حاكم بطليوس الذي لبى الطلب وتولى الحكم على طليطلة عام (472هـ_1072م)[2] اقبل ألفونسو مع القادر المحاصرة المدينة بعد أن تمت المعاهدة بينهما فنزلها وشدد حصارها [3] فأحس صاحب بطليوس بتعاظم الخطر فأنصرف بعد أن مكث فيها حوالي تسعة أشهر وعجز عن حمايتها أسترجع القادر حاكم على طليطلة تحت حماية ألفونسو وجنده ،على شروط للنصارى لا يطاق حملها .وأخذ يرهق القادر بطلب المزيد من المال و يستنسف الحصن بعد الحصن [4] ورأى أن شن هجمات سوف يعينه على تحقيق غايته ،فمل الناس من هذه الأوضاع ،وبدأ يشكون من سوء الحال وكلهم يسأله الصداقة ،حينئذ أدركوا أن ألفونسوا ينوي أخذ البلاد بعد أن كان يكتفي بأخذ الأموال والحصون بعد أن قام بكل أساليب من تخريب قراها وحصونها ولم تهبوا ملوك الطوائف المجاورة لنصرتها ومساعدتها وقيل فيهم الشعراء أرى ملوك :

أرى ملوك أصابهم بالأندلس دوائر السوء لا تبقى ولا تذر

وطلب القادر من ألفونسو فك الحصار ،ودفع الجزية فرفض ألفونسو ذلك وطلب منه أن يسلمه المدينة [5] وحاول ألفونسوا جاهدا منذ (471هـ) أخذ البلاد .فساعده آلاف الصليبيين كانوا مجتمعين في المحيط الأطلسي ،قادمين من ألمانيا وبلجيكا وألقى فيهم خطبة حماسية لمحاربة المسلمين وأنهم مسيطرون على مضيق جبل طارق

1 حسن أحمد محمود:قيام دولة المرابطين ،صفحة مشرقة في تاريخ المغرب في القصور الوسطى،دار الفكر العربي ،القاهرة ،ط2 1996م،ص253.

شكيب أرسلان : الحلل السندوسية ،ج1 ،ص 462 .

2 محمد السيد عبد العزيز سالم :تاريخ بطليوس الاسلامية أو غرب الاندلس في العصر الاسلامي ،مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية ،مصر د،ط،د،ت،ص26

3 لسان الدين الخطيب :المصدر السابق ،ج2 ص160.

4 مؤلف مجهول :تاريخ الأندلس ،تح،عبد القادر بوباية ،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ط1 ،2007،ص260

5 نصر الله سعدون :تاريخ العرب السياسي في الأندلس ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،د،ط1998،ص ص221،220

،فسارعوا في مشاركته في حملته ضد طليطلة[1] اشتد الحصار على أهل طليطلة[2] الذي دام سبع سنوات ولم يجد سوى الاستسلام وحدث وحدث اتفاق بين ألفونسو والقادر لتسلم المدينة ويتضمن الاتفاق على مجموعة من الشروط وهي :

- ❖ أن يؤمن من أهل طليطلة على أنفسهم وبنيهم وأموالهم .
- ❖ عدم منع من أراد الخروج من طليطلة للخارج وأخذ أمواله معه
- ❖ عدم إلتزام من بقي بطليطلة من المسلمين بدفع بالجزية .
- ❖ من أراد العودة إلى أرضهم بعد خروجهم فله [3] ما كان بيده من عقار دون تعرض له .
- ❖ يحتفظ المسلمون المقيمون هناك بتطبيق شريعتهم وتقاليدهم .
- ❖ إحتفاظ المسلمين بمسجد طليطلة الجامع .وعدم تحويله إلى كنيسه.

وتظاهر ألفونسو بقبول هذه الشروط وتعهد بسكانها وأهلها باحترام شروطهم الحفاظ.لأجل كسب ود المسلمين .ليسهل عليه دخول المدينة .ويعبث كيفما شاء.

وكان دخولها والإستيلاء عليها يوم 27 محرم سنة478هـ الموافق ل25ماي1085م[4] وبسقوطها بيد ألفونسو السادس .فقد وصف بعض الشعراء هذه المأساة منهم الشاعر الأندلسي عبد الله بن فرح اليحصبي بقوله :

---

1 حثاملة محمد عبده: الاعتداءات الفرنجية على ديار العرب في الاندلس والمشرق الجامعة الأردنية ،عمان ،د،ط1422هـ_ 2001م، ص،ص16،15

2 ابن خلدون : المصدر السابق ج6،ص185.

3 ابن خلكان : المصدر السابق ،مج7،ص27.

_نصر الله سعدون : المرجع السابق ،ص213 .

[4] ج.س.كولان الاندلس ،لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية ،ابراهيم خورشيد ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،لبنان ، دار الكتاب المصري القاهرة ،ط1980.1،ص132.

_ حيدر قاسم التميمي :بيت الحكمة العباسي ودوره في ظهور مراكز الحكمة في العالم الاسلامي ،دار زهران ،الأردن ،ط2011.1،ص197.

يأهل أندلس حثوا مطيكم فما المقام بها إلا من الغلط

الثوب ينسل من أطرافه و أرى ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

ونحن بين عدو لا يفارقنا كيف الحياة مع الحيات في سفط[1]

وسقط احدى حواظر بلاد الأندلس ،واسترجع النصارى عاصمة السقوط القديمة ، بعد أن حكمها المسلمون.

**حصار اشبيلية :**

واثر الفاجعة سقوط طليطلة يبدأ ألفونسو السادس التي هجر سكانها جماعات الى بطليوس [2] .هربا من الاضطهاد وحفاظا على دينهم وشعر ألفونسو بأنه أضحى قادر على تحدي دول الطوائف جميعا والقضاء عليها فقد نجح بالإستيلاء على المدن القوى ما بين وادي الحجارة الى طلبيره وأعمال شنتمرية كلها وبدأ يبدأ بالضغط على الدول المجاورة خاصة اشبيلية واختيار مملكة المعتمد بن عباد كان يهدف الى ضرب القوة الرئيسية لدى المسلمين .وراح يستهين بملوك الطوائف لا يفرق بين أحد منهم محاولا فرض سيطرته على المسلمين .فقد عرفت مملكة اشبيلية منذ عهد المعتضد ابن عباد ولاءها وطاعتها للمالك النصرانية في عهد فرديناند ،وأن سياسته ملكها في مد نفوذ و اخضاع غرب الأندلس لسلطته وخاصة بما هم المسلمين من الضعف والتشتت[3] فاستغل ذلك فعاث في أراضيها وفي سنة (455هـ_1063م) قام بحملة نحو اشبيلية هاجم

_ أحمد عميرة الضبي بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ،تح صلاح الدين الهواري ،المكتبة العصرية ،بيروت ،ط1426،1هـ/2005،ص180

1 ابن خلكان :وفيات الأعيان ،مج5 ،ص28

محمد العروسي المطوي :الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ،دار الغرب الاسلامي ط2 ،1982 ،ص215.

2 نصر الله سعدون :دولة المرابطين في المغرب والأندلس ،دار النهضة العربية ،بيروت ط1 ،1985/1405م،ص61

3 دوزي رينهارت :المرجع السابق ج3 ص79

أراضيها وأحرق قراها ودمروا عنهم وسبي .فقدم المعتضد بنفسه الى المعسكر المسيحي وقدم له الهدايا والتحف ،ملتمسا منه البقاء على مملكته مقابل جزية سنوية يدفعها له [1] وبوفاة المعتضد سنة (461هـ_1068) [2] وكان خليفة المعتضد المعتمد بن عباد ابنه ،فكان سياسته مع النصارى الاسبان هو دفع الجزية الذين يشكلون خطر لمشروعه التوسعي ،أما سياسة النصارى هو إضعاف الممالك الطائفية وأخذ اموال وانهيار اقتصادها على مستوى الوضع الاقتصادي والاجتماعي في اشبيلية .

فكان دافع المعتمد بن عباد في ربط علاقته بالنصارى ،لمساعدته في القضاء على إخوانه من المسلمين ،فتحالف مع ألفونسو السادس للقضاء على البربر وخاصة أن مملكة غرناطة بلغت قوتها في عهد ملكها باديس بن حبوس الصنهاجي (428_465)(1036_1072) [3] واستغل ضعف حفيده عبد الله بن باديس فغزى المملكة بمساعدة النصارى ..واستولى على مدينة جيان فكانت ملوك الطوائف تسابق في تحالف معهم لنيل رضاهم من أجل دعمهم بالجنود المرتزقة في حروبهم مع باقي أمراء المسلمين.

_وفي سنة 464هـ قام ألفونسو بحملة على أشبيلية من أجل دفع المزيد من الأموال واخضاع أهاليها تحت لوائه لكن ابن عباد أسرع وأظفر بصداقة ألفونسو السادس وأرسل له وزيره ابن عمار[4] لعقد صفقة صداقة ودفع له خمسين ألف مثقال من الذهب

1 محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ،ص384

2 العذري ،أحمد بن عمر أنس :نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ،والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك ،تر،عبد العزيز الأهواني ،معهد الدراسات الاسلامية ،مدريد ،د،ط ، د ، ت ، ص 108

3 لسان الدين ابن الخطيب :الاحاطة في أخبار غرناطة ،تح،محمد عبد الله عنان ،مكتبة الخانجي ،القاهرة ،مصر ط1 1974،،مج2 ،ص55.

4 ابن عمار :أبو بكر بن عمرا ولد سنة (422هـ/1031) ،يدعى عمار بن الحسين بن عمارمن عائله فقيرة اشتغل في الوزارة في عهد المعتمد بن عباد صاحب إشبيله وكان صاحبه وهو يسمى ذو الوازارتين :أنظر محمد بن عمار الأندلسي :دراسة أدبية تاريخية خالص مطبعة الهوى ،بغداد العراق ،د،ط،1957،ص19 .

.وحثه على غزو غرناطة وحين تسقط أموالها للنصارى والمدينة لابن عباد [1] فعلم ابن بلقين بالغدر والخيانه ،فحذر ألفونسو السادس ، من توسعات ابن عباد التي تصب في غير صالحه وما حققته مملكة اشبيلية من توسعات بفضل وزير ابن عمار وأخذ المعاقل القريبة من غرناطة قاشتره ومارتش .وكان النجاح الذي حققته مملكة اشبيلية بتوسعها الكبير بفضل وزير ابن عمار بفضل دهائه وقدرته على المراوغة والتفاوض [2] فكان ذلك عبئ على الملك ألفونسو السادس فطالب المزيد من المال وتنازلات فوصلت تنازلات المعتمد بن عباد للملك القشتالي أن قدم أحد بناته زايدة لتكون جارية او حظية له.

فتح مرسية وأصبحت تابعه لمعتمد بن عباد ،وتمرد صاحبه و وزيره ابن عماروأراد انتقال بها لنفسه وطلب من ألفونسو المساعدة ويأمنه فرفض ألفونسو ذلك .

فقال له "يا ابن عمار ،مثلك مثل السارق ، سرق السرقة ، فضيعها حتى سرقت منه"[3] فتم سجنه من قبل المعتمد بن عباد،حتى انتهى به الأمر بقتله.وبعد تأخر المعتمد بن عباد من أداء الجزية لاشغاله بغزو المعتصم بن صمادح صاحب المرية فأرسل اليه سفارة على رأسها وزيره اليهودي ابن شاليب يطالب المعتمد تعويضا للتأخير عن تقديم له الجزية المفروضه عليه [4] فوجه له المعتمد المال مع جماعة من وجوه دولته يتقدمهم الوزير أبو بكر بن زيدون ،لكن اليهودي رفضها ورفض استلام الجزية واعتبرها مزيفه. وتلفظ بألفاظ اسخطت المعتمد بن عباد .فألقى الحجز عليه وعلى بقية الوفد الذي كان معه [5].

وعند سماع ملك قشتالة بمافعلو بجنوده ،لما قدم عليه صاحب اشبيلية لوزيره والوفد الذي أرسله .فأقسم أن يرد الانتقام شر انتقام وأن يحشد له من الجنود عدد

1 عبد الله بن بلقين :المصدر السابق ،ص 128.

2 عبد الواحد المراكشي :المصدر السابق ص108.

3 ابن الآبار : المصدر السابق ،ج2،ص146.

4 عبد الوهاب عزام :المعتمد بن عباد : مؤسسة هنداوي ،القاهرة مصر د،ط،2012،ص ص45،44.

5 محمد عبد الله حتاملة :المرجع السابق ،ص500

شعر رأسه .فسار بجيشه بإتجاه اشبيلية [1] وفرض ألفونسو الحصار سنة 478هـ وبدا بحرب و يحرث [2] وينهب .وينسف الزروع ويقوم بسبي كل من يقع بين يديه وأيقن المعتمد بن عباد خطأه الذي قام به فأرسل وفود المصالحة ألفونسو السادس[3] ،رحل الوفد محملا بالذهب والفضة لكن ألفونسو رفض وقرر غزوه[4] ووصل عسكره الوادي الكبير في مواجهة قصر المعتمد بن عباد وأرسل له رسالة أذله ساخرا منه قائلا : «" كثر بطول مقامي،في مجلس الذبان، وأشتدعليا الحر فألقنى من قصرك بمروحة أروح بها على نفسي وأطرد بها الذباب عني" [5] وبقي يهاجم فوصلت حملاته الى جزيرة طريف على بحر الزقاق

دعوة أمراء الطوائف بالاستنجاد بالمرابطين:

سقطت أول قاعدة إسلامية على يد النصارى ،وغدت حاظرة لمملكة قشتالة واسترجع النصارى عاصمتهم القديمة ،بعد أن حكمها المسلمون وأشتد خطر القوى المسيحية بقيادة ألفونسو السادس الذي اتخذ لقب الامبراطور وأمير المتين [6]،وتعاظم الخطر على البلاد وأشتد بهم الخوف لدى الحاكم والمحكوم فسارع أمراء الطوائف لخطب ألفونسو السادس بالمبالغة في دفع الأتاوة والهدايا [7] لكن لم ترضي تلك الإغراءات ملك النصارى بل أراد امتلاك أراضيهم ومدنهم والقضاء على جميع دول الطوائف فازدادت هجماته على جميع بلاد الأندلس واستولى على الأراضي الواقعة على ضفتي نهر

1 محمد سهيل طفوش :المرجع السابق ،ص483

2 راغب السرجاني :قصة الأندلس من الفتح الى السقوط ،مؤسسة إقراء ،القاهرة ،مصر ط1،2011 ،ج1،ص ص 446

3 مؤلف مجهول :الحلل الموشية ،ص41.

4نفسه:ص42.

5عبد الوهاب عزام: المعتمد بن عباد،مؤسسه الهنداوي للتعليم والثقافه،دط،2012،ص45.

6 حسين مؤنس :موسوعة تاريخ الأندلس (فكر وحضارة وتراث )،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،ط1،(1996/1416م)ج2،ص216

7 شكيب أرسلان،المصدر السابق ،ج2،ص103

تاجة وعلى قلعة رباح[1]ومدينة قورية ،وحاصر سرسقطة ورفض على صاحبها الأموال السخية ،و تم حصارها وطلب من المتوكل صاحب بطليوس أن يسلمه بعض الحصون فرد عليه برسالة كلها شجاعة فأدرك حينئذ أمراء الطوائف مدى خطورته وزوال ملكهم فندم ملوك الطوائف على تحالفهم معه .

ورأى أنهم غير قادرين على مدافعة ألفونسو ومجاراته وضغط على المعتمد بن عباد بأن تلد زوجته في جامع قرطبة [2] وزحفت قوته الى جزيرة طريف أقصى جنوب الأندلس على المضيق ،وأدخل قوائم فرسه في البحر قائلا :هذا آخر بلاد الأندلس قد وطأته [3] .

فرأى المعتمد بن عباد ضرورة الاستنجاد بالمرابطين في المغرب ،وبعد المشاورة خاصة وجود دولته فأشار عليه بمعاهدة ألفونسو السادس وعقد السلم معه .ولم يوافقوه الرأي بالاستنجاد بالمرابطين وكذلك رفض ابنه الرشيد: يا أبت أتدخل علينا في أندلسنا من يسلبنا ملكنا و يبدد شملنا فقال له مقولته : « رعي الجمال عندي خير من رعي الخنازير »[4]

وأصر المعتمد بن عباد على رأيه وقال: « إن اسندت الى ابن تاشفين ،فإني أرضي الله ،وأن أسندت الى الأذفش أسخطت الله[5]» و بقي متمسكنا برأيه حتى أقنعهم.

وشرح المعتمد بن عباد في رسائله الى أمير المرابطين أحوال الاسلام والمسلمين وزيادة نفوذ ألفونسو السادس ،وسيطرته على طليطلة وإغارته على كافة حصون المسلمين و

1 من عمل جيان تقع بين قرطبة وطليطلة وهي مدينة لها حصن حصين على نهر آنه أنظر : الادريسي :القارة الافريقية وجزيرة الاندلس ،ص274.

2 المقري :المصدر السابق ،ج4،ص246.

3 محمد عبد الله عنان :المرجع السابق ،ص316.

4 سعدون نصر الله: تاريخ العرب السياسي في الأندلس :المرجع السابق ص221.

5 عبد الوهاب عزام : المرجع السابق ،ص55.

اعتداءاته على حرمات المسلمين فطلب منه راجيا العبور الى الأندلس باعتباره أقوى أمير وزعيم في المغرب الأقصى ليخلصهم من العدو النصراني .

:مؤتمر قرطبة :

وصلت ممالك الأندلس الى حالة من الضياع ،وأفاق ملوك الطوائف على وقع صدمة كبيرة بسقوط طليطلة سنة (478هـ_1085م) و حصار اشبيلية فازدادت قوة مملكة ليون وقشتالة من قوتها وهي تريد أخذ بلاد المسلمين مدينه بعد مدينه [1] فما كان على مسلمي الأندلس الا أن يفكروا بجدية الوضع التي آلت اليه الأندلس والتصدي للنصارى .

عقد اجتماع في قرطبة ،حضره من فقهاءها كان على رأسهم القاضي عبد الله بن أدهم [2] فتشاور الجميع في حال بلاد الأندلس وما وصلت اليه من فوضى وتسلط الأفرنج على بلادهم ، فاقترح البعض منهم الاستنجاد بعرب الهلاليين[3] لكن ابن أدهم لم يوافقهم الرأي وتخوف منهم .أن تصيب بلادهم مثل ما فعلوا بإفريقيا من تدمير البلاد فأشاروا عليه بالاتصال بالمرابطين لانهم أصلح من الهلايين ، وأقرب الى الأندلس [4] .

ووصل خبر هذا المؤتمر الى المعتمد بن عباد ،كانت قرطبة تابعة لملكه ،فقدم اليها من اشبيلية،واجتمع مع الفقهاء والقضاة [5].

1 ابن عبود محمد : مباحث في التاريخ الأندلسي ومصادره ،منشورات عكاظ ،الرباط د ، ط ،1989 ،ص49 .

2 أبو بكر بن أدهم : عبيد الله بن محمد بن أدهم ويكنى أبا بكر ،وهو قاضي الجماعة بقرطبة أفتاه المعتمد بن عباد عندماأراد الاستنجاد بالمرابطين ترأس الاجتماع وأفتى بخصوص المرابطين،أنظر بسام العسلي :الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية ،دار النفائس ،بيروت لبنان ،د ط ،ص49 .

7.عرب الهلاليين

4 ابن الأثير :المصدر السابق ،ج1،ص ص:151،152

5 أدهم علي :المرجع السابق ،ص206

وكان من وافق رأي ابن عباد ،المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس ،وكذلك عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة ،فأصبحت هذه الحواظر الاسلامية الضخمة متفقة على الاستعانة بالمرابطين.[1]

وتزعم المعتمد بن عباد الفريق المبعوث الى يوسف بن تاشفين أمير المرابطين .وشكلت الوفد المكون من قضاة المدن الثلاث :

_ قاضي الجماعة بالقرطبة :ابو بكر بن أدهم ، وقاضي غرناطة [2] ابو جعفر القليعي [3] ،وقاضي بطليوس ابو اسحاق مقانا، و أضاف المعتمد ابن عباد وزيره ابا بكر بن زيدون [4] ،وتكون الوفد من هؤلاء الأربعة فقط.

1 نصر الله سعدون :المرجع السابق ،ص211

[2] عصام محمد شبارو :الأندلس من الفتح المرصود الى الفردوس المفقود (91-897)(760-1492م)دار النهضة العربية ،بيروت لبنان ،ط1 2002 ،ص239

[3] ابن الآبار : المصدر السابق ،ج2،ص ص 98-99.

[4] هو أبو بكر محمد بن أبي الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون ،أبن الشاعر المشهور كان وزير المعتمد بن عباد ،اسند له المعتمد في مهمته مع الفقهاء ،أن يقوم بابرام العقود والسلطانية ،أي صلاحيته ابرام الاتفاق مع الأمير يوسف أنظر :ابن الآبار المصدر السابق ،ج99،2.

_ اثر وصول الوفد ليوسف ابن تاشفين [1]، .وشرح له الأوضاع التي آلت اليها الأندلس الاسلامية .

[1] هو يوسف بن تاشفين اللمتوني ولد سنة 400هـ/1009م ببلاد الصحراء في مضارب قبائل صنهاجة الجنوب ،ينسب الى بني ورتانطق زعماء قبيلة لمتونة،تولى بعد الأمير أبو بكر بن عمروهو زعيم المرابطين وقام ببناء مراكش سنة (454هـ/1062)وجعلها عاصمة لدولته ،هو من تلقب بأمير المسلمين بعد خوضه معركه الزلاقه لما حقق إنتصار على النصارى حين أسنجد به المعتمد بن عباد ملك إشبيله للقضاء على توسعات النصارى. توفي في شهر محرم سنة560هـ/1106م أنظر :ابن ابي الزرع :الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،دار المنصورة للطباعة والوراقة ،الرباط ،د ط ، 1972 ،ص 137 وكذلك حسن محمود : المرجع السابق ،ص219.

# الصعوبات التي واجهت بن تاشفين في توحيد الأندلس للمرابطين

الصعوبات الداخلية (المغرب)

سيطرة برغواطة على ميناء سبتة

عندما اشتد الضغط المسيحي على الأندلس ذهب أمراء الطوائف وطلب تدخل المرابطين لإنقاذ بلاد الأندلس من السقوط في أيدي الفرنجة، ورغبة بعض الأمراء الطوائف بتوقف توسعاتهم في الأندلس، وبعد سقوط طليطلة في أيدي ألفونسو السادس (478هـ-1085م)[1] ، وطموح النصارى في أخذ كل بلاد المسلمين وطرده منها. مستغلين حالة الضعف التي كانت بين أمرائها والتي باتت واضحة أمام العدو الإسباني، الذي ظهر تلهفه وطمعه، بعد أن تفنن ملوك الطوائف في اصطناع الخلافات والتفرقة والانشقاقات والفوضى والتخاذل. عن نصره المسلمين، وبسقوط طليطلة الذي كان يوم سقوطها كارثة على الأندلس العربية، لأن حين تملكتها قشتالة أصبحت جاثمة على ضفتي نهر التاج ممدودة إلى ثغور[2]، مما أدى إلى تحرك بعض أمراء وكان على رأسهم المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية الذي دفع إلى إطلاق استغاثات لاسترداد كرمتهم، لكن سبقت حادثة المعتمد التي استدعته بالاستنجاد بالمرابطين، وكان ذلك سنة (474هـ - 1081م) إذ وفد على ابن تاشفين جماعة من الأندلس شكو ما حل بهم من أعدائهم النصارى فوعدهم بإمدادهم وإعانتهم وصرفهم إلى أوطانهم وكان ممن كتب في ذلك المتوكل على الله بن الأفطس (ت 487هـ - 1094م)، يستصرخه حين انقض عليه العدو النصراني على بلادهم [3] فرفض في ذلك الوقت العبور لهم، لانشغالاته مع قبائل الرغواطة التي ظهرت مع المرابطين، فكان المغرب الأقصى أربع قوى منها قبائل غمارة في الشمال وموطها جبال الريف، ومنها قبائل برغواطة في تامنسا وإمارة الزناتية إمارة بني خزرون في درعة وسجلماسه، وإمارة بني زيري في فاس، وإمارة بني يفرن في سلا[4]

[1] رجب عبد الحليم: المرجع السابق، ص351.

[2] بطرس البستاني: المرجع السابق، ص 13

[3] مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص34.

[4] سلا: هي مدينة قديمة، تُعرف بصفة الوادي، فيها آثار- أنظر مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ت ح: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافة العامة، د ط، بغداد، د ت، ص 140.

والتادلا[1] فحارب مرابطون تلك القبائل منهم الفقيه عبد الله بن ياسين[2] واعتبرها واجب تقديم الجهاد من قبائل برغواطة، لأنها تدين لمذهب تنافي الإسلام، فهي أهل الضلالة والكفر، وأسسها رجل يهودي الأصل، يُدعى صالح بن طريف البرغواطي فظهورهم بالمنطقة منذ أوائل القرن الثاني من الهجرة، واستوطنوا في تامسنا. ومن أهم عقائدهم الصوم في شهر رجب، وفرض الصلوات خمسة في النهار وخمسة في الليل، وأباحوا تعدد الزوجات[3] بأي عدد ممكن كما ادعى مؤسسها أنه المهدي الذي سيخرج آخر الزمان، حيث قام ملوك البرغواطيين لمحاربة المسلمين في العدوتين المغربية والأندلسية فأصيب عبد الله بن ياسين عند اقتحامه معابر برغواطة، حين دخل معهم الحرب وهو يرشدهم وينصحهم إلى الإسلام، مما أدى به إلى آخر المطاف بجروح على إثرها توفي (451هـ - 1059م).

وبقي المرابطون يحاربون القبائل، ولما تولى يوسف قيادة المغرب وفتح سبتة بقيادة ابنه المغر، فحاصرها بر وبحرا، ودار بينهم وبين البرغواطيين حرب، أدت إلى قتال ضياء الدولة[4] ابن الحاجب سكون البرغواطي[5]، وحين انتصر ابن يوسف بعث لأبيه وهو مشغول بفتح فاس يخبره بذلك النصر، ففرح يوسف بذلك فرحا كثيرا لأن الإمارة البرغواطية مسيطرة على الساحل وتتحكم فيه وتشرف على منطقة المضايق، حين امتلكوها أعاقت في تقديم مساعدة لإنقاذ الأندلس من العدو المسيحي، فاعتذر منهم يوسف حين لجأوا إليه لامتلاك أمير سبتة الحاجب سكوت موقعها المهم التي تتمتع به سبتة ذلك الموقع الجغرافي، فهي تحتوي على أسطول قويا وضخما. فلم يقدر يوسف

---

[1] التادلا: وهي من المدن القديمة، قام بها الملثمون حصنا عظيما كثير الخيرات والأرزاق، نفسه، ص200.

[2] عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير بن علي الجزولي ولد في قرية طرف الصحراء، درس الفقه ودخل المغرب لنشر الإسلام وجاهدهم حق جهاده، لأنهم كانوا بعيدين عن الإسلام وعن الشهادتين، أنظر: سعدون نصر الله: المرجع السابق، ص 22.

[3] محمد الطالبي إبراهيم العبيدي: البرغواطيون بالمغرب، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 1999، ص55.

[4] الناصري أحمد بن خالد: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولتان المرابطية و الموحدية، ت ح، جعفر الناصري، ومحمد الناصري، الدار الكتاب، الدار البيضاء، د ط، 1954، ج 2، ص 25.

[5] الحاجب سكوت البرغواطي: من بربر زناتة – فهي قبائل طاغية قد ساعده علي بن حمود الإدريسي في الوصول الحكم، ونفى حاكمها حتى هاجمه المرابطين.

سحر السيد عبد العزيز سالم: من جديد حول برغواطة هراطقة المغرب الإسلامي، مؤسسة الشباب، د ط، الإسكندرية، د ت، ص14.

العبور منه لأنها لم تكن في حوزته ولم تقبل حاكمها ليوسف العبور ففرض سيطرته على مضيق جبل طارق[1] وعمل اضطراب بسبب القرصنة التي قام بها ضد السفن الأندلسية المسلمة وعندما أراد يوسف الذهاب إلى الأندلس ونظر في تلك البلاد وطبيعتها الحربية والجغرافية فنظر أنه لابد أن يضع يده على بلاد يسهل عليه العبور فكان نظره على ثغر سبتة المطل على الضفة الغربية من بحر الزقاق مما أدى به القضاء على حاكم سبتة ودخول معه في حرب لرفضه العبور ولم يسمح له بذلك وكانت في سنة (477هـ - 1084م) وقد شارك المعتمد بن عباد في تقديم يد المساعدة للمرابطين للقضاء عليهم.

**هجوم صاحب قلعة بني حماد على المغرب الأقصى:**

كانت اهتمامات دولة المرابطين هو إقامة دولة مجاهدة آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر وبدأت إصلاحاتها في منطقة الصحراء منذ بداية دخول عبد الله بن ياسين في دولة الملثمين، حيث سمي إمام الحق لتعلمه للناس دينهم ،ودعاهم للجهاد ،فكثر أتباعه فوجد مواجهة من بعض القبائل الصنهاجية ،وتآمرت ضده وأشتهر أمره في الصحراء ،ثم أحتار بعد مشاورة المرابطين وتم اخبار يحي بن عمر اللمتوني[2]، يكون أمير المرابطين لكثرة زهده في المناصب الشخصية فكان مصلحا وناشرا للدين ويعتريه الزهد في كل شيء ،وعمل بوصيه عبد الله بن ياسين التي أمره بعدم التحاسد والتباغض حتى أن تقواه جعلته يتنازل للحكم ليوسف بن تاشفين عن طواعية ،وقبل بكل ما قام به يوسف وأوصى به خيرا بالمسلمين وبنفسه ،فواصل عمله في فتح بلاد المغرب الأقصى وفتح بلادها الواحدة تلوى الأخرة وكان النصر حليفه في كل مرة ، تم توجه للمغرب الأوسط وكانت أول فتوحاته سنة (468هـ-1075م)[3]، جهز امير يوسف عسكر ضخما وقدم عليها بن عمه مزدلي اللمتوني وبعثه الى تلمسان ،وكان حاكمها العباس بن يحي أمير زانته ، فأرسل له المرابطون كتابا

[1] حسن علي محمود: المرجع السابق، ص 217.

[2] هو الأمير يحي بن عمر اللمتوني كان من أهل التدين والزهد في الدنيا كثيرا للطاعة لعبد الله بن ياسين ، تخلى للإمارة لابن عمه يوسف بن تاشفين أنظر :محمد علي الصلابي :الجوهر الثمين ص 68.

[3] حمدي عبد المنعم :المرجع السابق ص237

بالعفو ،عن أن يتنازل عن تلمسان دون قتال فوافق عن ذلك ودخلها المزدلي سنة(472هـ-1079م)ثم رجع الى يوسف بن تاشفين فألقاه بمدينة مراكش .

وبعد أن أصبح تلمسان للمرابطين فقام لها مدينة جديدة بجوار أغادير القديمة ،فتوغل المرابطون في المغرب الأوسط ففتحو مدينة تنس ثم وهران وجبال الونشريس ،وأعمال شلف حتى وصلوا الى الجزائر [1] وكان سنة (474هـ-1081م) فلم يواصلوا أعمالهم في الفتح لجهة شرق عند حدود بجاية ،فكانت علاقة يوسف بنت تاشفين مع دولة بني حماد مبنية على حسن الجوار . وتوقفوا عند مدخل بلاد القبائل من أرض صنهاجة الشرقية، ولم يدخل معهم في حرب. لأن نداء المستغيثين وصلت ليوسف بن تاشفين ويقول بن أبي زرع في ذلك (ورجع للمراكش فدخلها في شهر ربيع سنة خمس وسبعين وأربعة مئة فورد على كتاب المعتمد بن عباد يعلمه بحال الاندلس ،وما آل اليه أمرها من تغلب العدو على أكثر ثغورها وبلادها ،وسأله نصرها واعانتها)[2] ،فرد عليه يوسف عن رسالته بالقول في الجهاد بالعدوة الأندلسية ، فكان الجواز سنة (479هـ-1086).فسهل الله له طريق لما كان فيه صلاحه لدين ونصرة المسلمين وخاض معركة الزلاقة ضد الجيوش القشتالية التي يقودها الطاغية ألفونسوا السادس ،ورغم ما أحرزه هذا الأخير من جيوش وعتاد لضرب المسلمين ،لكن النصر كان تحت أيدي المسلمين وبعد ما حقق من انتصارات ضد العدو ، رجع الى بلاد المغرب لخطبة ساعة أن بنو حماد ببجاية [3] فأستغلت غياب يوسف و إشغاله في جهاد الأندلس .محاولين ضرب أطراف مملكة المرابطين لدولتهم فاستغلوا تلك اللحظة غيابه .برغم أن يوسف لم يوصل فتوحاته للشرق نظر للقرابه التي بينهم .لكن بني حماد تحالفوال مع بني هلال وغزو المغرب الأقصى ،وعادوا الى بلادهم محملين بالغنائم وصالحهم يوسف ولم يرغب في دخول حرب معهم رغم مافعلوه فتجاوز عن ذلك ،وعند وفاة ناصر بن عباس الحمادي في سنة

[1] بن أبي زرع الفاسي :المصدر السابق،ص134

[2] محمد حامد خليفة : المرجع السابق ص124

[3] حامد محمد خليفة :المرجع السابق ،ص125

(481هـ-1080م)[1]وذلك في عبور يوسف بن تاشفين وعاد خلالها الى مراكش ،وحين نشوء خلافا بين والي تلمسان المرابطي دون علم الأمير ،مما أدى الى عزله من طرف الأمير وعين مكانه مزدلي .

الأسطول البحري ليس بكامل قوته :

يعرف المرابطون على أنهم من قبائل صنهاجة الجنوب الصحراويين وعندما أراد يوسف تلبية نداء المستضعفين من مسلمي الأندلس، فوجد صعوبة البحر, بحيث كان المرابطون يجهلون ذلك البحر وركوبه فرضت عليهم ذلك .اذا كان عليه اهتمام بتقوله الأسطول حيث كانت دولة المرابطون لم تملك سفينة واحدة ،من أجل حماية وتأمين السواحل البحرية والموانئ الساحلية ،فكان عليهم ركوب البحر والاهتمام بالصناعة الحربية .وظهر ذلك عندما قرر العبور لمساعدة الأندلسيين لتبين أهمية الأسطول البحري ،و ما كانوا لينجحوا الا بمساعدة سفن المعتمد بن عباد ،وحتى تحول الأندلس الى ولاية مرابطية عليهم بذلك الأساطيل .وقد استعانوا بالخبراء ،وتولى تنفيذ هذه المهمة أسرة بني ميمون[2].الذي كان لهم دورا متميزا في قيادة الأسطول ،حتى يصد هجمات أساطيل الأعداء ،وكذلك لغرض توفير المواصلات بين المغرب والأندلس ،ونقل الجند ،ومن ثم فإن عدد النقل بالأسطول المرابطي كانت أكثر عددا من سفن القتال ،فالسفينة الحربية لم تتجاوز مائة سفينة [3] ومما دفع بالأمير لزيادة اهتمامه به كان معركة خاضها الأسطول في سنة (476هـ/1083م)مما ساهمت في مساهمة فعالة بهدف استخدامه لنقل الجنود الى الأندلس في بلنسية سنة(479هـ/1086م).

[1] محمد علي الصلابي :المرجع السابق،ص162

[2] يرجع أصلهم الى أصل عربي الى بني الدار،الذين كانوا ينزلون بقرطبة وأشبيلية :رائد عبد الرحيم :صورة الأمير يوسف بن تاشفين في أدب الرسائل في عهدي الطوائف والمرابطين ،مجلة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية )،د،م،مج،2007،ص29

[3] فتحي زعروت :المرجع السابق ،ص287

الصعوبات الخارجية (الأندلس)

استقواء ممالك النصارى :

تميز حكم المسلمين في الأندلس بالضعف خاصة في عصر ملوك الطوائف ،ولم يقتصر حكمهم بالضعف بل انقسموا الى دويلات صغيرة تجاور إمارات النصرانية ،وكانت تطمح في توسع أراضيها على حسابهم وعلى استيلاء على بقية شبه الجزيرة الايبيرية ،وهو ما يعرف بحرب الاسترداد فكانت دويلات النصرانية متعددة ليون ،قشتالة ،وأراغون نافارا ،قطالونية ،واستطاع سانشو الكبير في النصف الأول من القرن الخامس أن يضم جميع الممالك النصرانية ضما حقيقيا بتعيينه له .ولما توفي تقلد زمام زعامة النصارى ابنه فرديناند،لكن قبل وفاته ،أخضع ملوك اشبيلية وطليطلة وبطليوس ،رغم أنهم كانوا يدفعون له الأتاوات ،فانقسمت ممالك النصرانية بين أولاد الثلاث ،هم شانجة ملك قشتالة ،و ألفونسوا السادس ملك ليون ،وفي آخر المطاف بعد ظهر تنازع بين أخوته ودخولهم في حرب الأهلية استطاع ألفونسوا السادس أن يضم اليه مملكة أبيه قشتالة وليون والبرتغال ،وحبلقية ،فتفوت هذه الممالك وعظم شأنها وتحالفت لمحاربة المسلمين [1] حتى برز نشاط النصارى في فترة عصر الطوائف جباية الضرائب [2] واستخدموهم في مجال الدبلوماسية ،وأوكلت لهم مهمات سياسية وإدارية وارتقوا مناصب عالية في بلاد الأمراء مكنتهم من ابداء آرائهم في الشؤون السياسية ،ومشاركتهم الفعالة في تسيير تلك الدويلات ففي عهد بني جهور الذين حكموا بقرطبة فرنان غومس القشتالي ،كان له دور في تتبع تحركاته السياسية ،ولم يقتصر الأمر على ذلك بل قربهم المعتضد بن عباد [3] (433هـ/461هـ)(1041م/1068م).

في تسيير شؤون مملكته بإشبيلية ،وقرب اليه شنشدر . مما أدى الى تقوية سعيهم في استحواذ على بلاد المسلمين ، وحين تولى ألفونسوا المملكة النصرانية ،وجد أحوال المسلمين في حالة سيئة من التفكك والتمزق فمملكة طليطلة كانت تدخل آنذاك في نزاع مع جاراتها الممالك الإسلامية،

[1] العروسي المطوي :المرجع السابق ،ص425

[2] دندش عصمت عبد اللطيف :دراسات أندلسية في السياسة والاجتماع ،دار الغرب الإسلامي ،تونس ،ط1، 1430هـ/2009،ص91

[3] محمد عبد الله عنان ،دولة الإسلام ،ص402

أمير مملكة اشبيلية المعتمد بن عباد، يريد توسع مملكته على حساب باقي ممالك الطوائف المجاورة[1]، فقرب إليه ألفونسو السادس ودفع له الجزية مقابل مساعدته، في ضرب ملوك الطوائف في بعضها البعض، لذلك الظروف كانت موالية لتقوية نفوذه في منطقة واستفحل أمره، واستحكم في المسلمين طمعه، فلم ينم عن شن الغارات ومواصلة الغزوات، حتى سقطت طليطلة بيده فتوترت علاقات بينه وبين المعتمد بن عباد، وندم المعتمد ندما شديدا ما قام به من تحالفه معه, وشعر بالخطر والحالة السيئة التي بلغتها الأندلس. و أحسوا بأنهم قد أسهموا بسياستهم تلك بترك الحبل بيد ألفونسو السادس ليحقق ما يشاء وما يريد، في حين كانتا مملكتا أرغونة ونبرة تشددان بالضغط على سرقسطة، وكذلك كانت امارة برشلونة تضيق الخناق على ملوك الطوائف فبادر المعتمد بن عباد إلى طلب المساعدة من المرابطين في المغرب، ولما وافق يوسف بن تاشفين عن ذلك بدأت تتوافد عليه أعداد كبيرة، من أهل الأندلس، وعند سماع ألفونسو السادس بمجئ المرابطين ونزولهم بأرض الأندلس، فلم يجد يوسف ذلك عبور أمر سهلا، واجهته قوات ألفونسو السادس الذي استعد استعدادا عسكريا حين تنبأ بقدومهم. فترك حصار سرقسطة وبدأ بجمع قواته من كل مكان بعث إلى سانشو راميرث ملك أراغون، وكذلك خاطب قائد البر هانس[2] الذي كان منشغلا بحصار بلنسية، وراميرث منشغلا بمدينة طرطوشة، فأتته جموع مالا تحصى، وكذلك أرسل إلى من وراء جبال ألبرتات، فلعبت له حرب، فرفعت تلك جموع الرهبان والقسيسين وأساقفة صلبانهم.[3] فأعجب ألفونسو بكثرة الجيوش المنظمة إليه، فأخذه الغرور، حيث بلغ جيش ألفونسو مائة ألف من المشاة وثمانين ألفا من الفرسان، حيث عدد المسلمين أقل بكثير من عدد النصارى[4] مما زاد ذلك تحمس ألفونسو السادس بالتفوق العددي، وأرسل رسالة إلى يوسف بن تاشفين، يعبر له عن كثرتهم، وأنه سوف ينهزم المسلميون، فرد له يوسف بعد أن ثم عبورهم قائلا :" بلغنا يا أذفش أنك دعوت إلى الإجتماع، وتمنيت أن تكون لك

[1] سعدون نصر الله، المرجع السابق، ص63.

[2] هو ابن أخ السيد القمبيطور، أكبر قواد ألفونسو السادس، شارك العديد من المعارك ضد المسلمين، أنظر: مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 54.

[3] محمد علي الصلابي: الجوهر الثمين، ص 101.

[4] شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص43.

فلك تعبر البحر عليا إلينا، فقد اجتزناه إليك، وجمع الله في هذه الرفرصة بيننا وبينك، وشرى عاقبة دعاءك"[1] .

وحين تسلمها، اشتعل غضب ألفونسو السادس وزاد في كبره وطغيانه وبدأ بالاستعداد لمواجهة المسلمين، فأندهش يوسف بن تاشفين بجيوش ألفونسو الكثيرة المستعدة للقتال فزادته ذلك مقاومة وحب المواجهة والجهاد الطاغية ألفونسو السادس، وخيره يوسف بن تاشفين بين الاسلام، الجزية، الحرب[2]، فبادر ألفونسو باعلان الحرب ولملاقاة المسلمين، وبعث رسالة ليوسف عن طريق ابن الأفطس بأن تجري المعركة وقائع المعركة قرب مدينة بطليوس، وخاطب ألفونسو السادس يوسف بن تاشفين بقوله :"غدا الجمعة، ولا نحب مقاتلتكم فيه، لأنه عيدكم وبعده السبت يوم عيد اليهود، وهم كثيرون في محلتنا، ونحن نفتقر إليهم، وبعده الأحد عيدنا، فنحترم هذه الأعياد ويكون اللقاء يوم الاثنين" فأراد من هذه الرسالة خدع المسلمين في تحديد يوم المعركة حتى بتجهيز النصر فكان رد يوسف: "أتركو اللعين، وما أحب"[3]

تسلم بن تاشفين وكاد ينخدع بها. وكان يعتقد أن الملوك لا تغدر لكن المعتمد بن عباد فهم ذلك أن خديعة فرانس فرديناند، ونية يوسف بن تاشفين بذلك. والتحم الجيش المرابطي وجيش ألفونسو السادس وواجهه المرابطين بتقسيم جيشه إلى فريقين: الأول بقيادة الكونت جارسيان وكونت رودريك لمواجهة المعتمد خصصه إليه والقسم الثاني إبن ردمير والبراهانس, وقتلو قتالا عظيما, وبحيث صبر المرابطون صبرا جميلا واد سهم بكثرة جنوده حتى كادت أن تستأصله[4] .ولكن الجيش المرابطين لم يستسلموا وصبروا صبرا الكرام "لحرب اللئام"[5].وما إن سمع يوسف بن تاشفين ماجرى لجيشه بقيادة المعتمد بن عبّاد و الجيش آخر بقيادة داوود بن عائشة ,فبعث قائده سير بن أبي بكر و قبائل المغرب وزناته والمصامدة, وغيرهم, من قبائل البربر لإغاثتهم أما هو

[1] الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 53.

[2] شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 35.

[3] الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 54.

[4] ابن أبي زرع:المصدر السابق,ص147.

[5] نفسه ص147.

فسار بجيشه قاصدا موقع ألفونسو السادس , حتى وصل إليه فأضرم النار وأحرق وقتل من كان من الرجال والفرسان في أرض الزلاقة يحمونها ويحرصونها , وكان منهم من فرّ ألفونسو يخبره بقدوم يوسف بن تاشفين فتفاجأ أفونسو بهذا الهجوم من المسلمين وأخبروه أن حاميته قد أحرقها المسلمون[1],وقتلو من كان وتم سبيء مافيها من فدار حرب عظيمة بين الجيشين .ويقول صاحب الحلل المنشية :"فألتحمت الفئتان وإختلطت الملّتان ,وإشتدت الكرات وعظمت الهجمات والحروب تدور على اللعين, وتطحن رؤوس رجاله ومشاهير أبطاله وتقذف بخيلهم عن يمينه وشماله, وتداعى الاخيار والحشم والعبيد للنزال والترجل عن ظهور الخيل ودخول المعترك فأمد الله المسلمين بنصره وقذف الرعب في قلوب المشركين"[2].

وبدأ الامير يوسف يبث بين صفوف المسلمين الجهاد ويحرضهم على قتال ويقوي في عزيمتهم على أن النصر حليفهم. ورأى المعتمد بن عباد ما لحق بجيوش النصارى من هزائم ,فزدادت عزيمته وقال لاصحابه شدو على العدو النصراني ,حتى تيقن ألفونسو انه هالك ودام القتال حتى ارتمت المزاريق من أحد المسلمين من السودان ليضربه بالسيف فغرس خنجرا في فخذه .وأصيب بجروح .فكان يقول"إلتحق بي غلام أسود فضربني في الفخذ بمنجل أراق دمي"[3]فتأكد أن هزيمة ستلحق به, ورأى القوة بيد المرابطين وحبهم في الجهاد .ففر منهزما في الليل هروبا من الجيوش المسلمين. قاصدا طليطلة[4] ولم يصل معه من جنوده إلا نفر يسير وانتصر المسلمون على الجيوش النصرانية –وعاد يوسف بن تاشفين للمغرب وترك جيش مرابطي, لحماية المسلمين الاندلس.

لحقت بالممالك النصارى هزيمة نكراء وحطمت آمالهم في السيطرة على الاندلس فقد علق ذلك عبد الواحد المراكشي بقوله "وقطع الله طمع الأذثنش عن الجزيرة بعد أن كان يقدر أنها ملكه وان رؤساءه أي ملوكها خدما له"[5]ولم تمض سوى عام على هزيمته ,التي غيرت خطته الحربية بعد

[1] محمد علي الصلابي:المرجع السابق ,ص163.

[2] مؤلف مجهول:الحلل المنشية,ص61.

[3] حامد خليفة,المرجع السابق ,ص32.

[4] مؤلف مجهول:المصدر السابق,ص61.

[5] عبد الواحد المراكشي:المصدر السابق,ص95.

معركة الزلاقة ,الذي كان يعتمد على القوة الذاتية فعمل جاهدا باللجوء وطلب المساعدة لاستعادة قوته من جديد فكان ألفونسو السادس رجلا قويا .وعلى الرغم الخسارة التي منيا بها فلم يعتقد أنه خسر شيئا ولم يستولي عليه اليأس بل وقف صامدا للتخلص من المرابطين وأمراء الطوائف .

فتلقى يد المساعدة من أمراء الأقاليم بفرنسا وايطاليا[1]وتصالح كذلك مع قائده السيد القمبيطور وتم استقباله في طليطلة. وبعد أن قوي ساعيه رجع لسياسته أولى بشن غاراته على بلاد الاندلس لكن هذه المرة صوّب نظره على المناطق الشرقية مستغلا تفكك الجبهة الاسلامية وخاصة ان شرق الاندلس كانت تحت السيادة المعتمد بن عباد وان ألفونسو السادس حاقد عليه لان المعتمد هو من بادر وطلب العون من المرابطين, وتسبب في هزيمته في معركة الزلاقة وكان شرق الاندلس مدينتي مرسيه ولورقة لانهم تخضعان لسلطة المعتمد بن عباد[2],فمرسيه يعتبرها حق له. فركز الفونسو على هذين المدينتين انتقاما من ابن عباد فبث في اهاليها الرعب وتشديد الخناق عنها .

اما بلنسيا فقد لاحظ ,عند سقوط طليطلة بيد الفونسو السادس حين ركز علها شكل خاص, حيث كانت من شروط التسليم المتفق بينه وبين القادر ذي النون ,أن يعوضه ببلنسيا مقابل تنازله عن طليطلة له[3] وفي ذلك الوقت قامت دولة بني ذي النون من جديد في شرق الاندلس فكانت دولة ضعيفة تدين بوجودها وولاءها لملك قشتالة, وعند مجيء المرابطين استجاب لنداء الاستغاثة ,أخذ الفونسو يجمع الجيوش وينظمها استعدادا للمعركته للمرابطين, التي كانت ملاذ للطامعين من كل جانب ,وكل ينظر الفرصة المواتية الانقضاض عليها وامتلاكها وكانت يتنافس عليها كذلك بن المنذر بن هود صاحب لاردا وطرطوشة كما طمع السيد الكمبيطور فيها وحاصرها حصار دام عشرين شهرا واستنزف كل طاقتها في زروع والخراب[4], بحيث لم يتمكن المرابطون من دخولها وذلك لصرامته وقوته.وباتت محاولاتهم بالفشل وذلك بسبب الاتفاق الذي عقده احمد المستعين

[1] حسن أحمد محمود:المرجع السابق,ص286.

[2] سعدون نصرالله:المرجع السابق,ص252.

[3] محمد عبد الله عينان:المرجع السابق ص334.

[4] محمد عبد الله عينان:دولة الاسلام,ص248.

ساراقسطا مع السيد الكمبيطور وأمده بأربعمئة فارس وهو تحت حوزته ثلاثة الافارس وغزا بنفسه حرصا على تملك بلنسيا على ان تكون الاموال القمبيطور وللمستعين المدينة [1].

وقبل ان تصل قواتهم فسارع المنذر واتفق مع القادر بن ذي النون فكانت هذه الاتفاقات السرية والوعود الكاذبة ,كان السيد القمبيطور الطرف الاقوى بينهم لانه اتصل سرا بالقادر ونصحه بعدم تسليم المدينة لاحد[2].فتممت الاتفاقيات السرية، فخاطب ألفونسو السادس ملك قشتالة واكد له أنه فيما يعلمه ويغنمه إنما هو تابع له وأن فرسانه الذين يقودهم الحصول عليه بسهوله.

وبذلكرأى ملك قشتالة في رسالة السيد، ولاءه وطاعته له وصرح له أن يجول بفرسانه حيث يشاء في بلاد المسلمين، وكل ما يتحصل له من الأراضي والحصون التي ينتزعها من المسلمين تصبح ملكا خاصا له. ودعمه ألفونسو بفرقته من جنوده تحسيدا له، فاستطاع لهذا الجيش الكبير من المرتزقة أن يفرض سيطرته على دويلات الطوائف في شرق الأندلس[3].واتبع نفس أسلوب الذي اتبعه ملك قشتاله في غرب الأندلس وارهاق دول الطوائف بالغارات التخريبية، وضغط عليها ضغطا عسكريا لإخضاعها وتعهدت بعض دويلات بأداء الجزية له وقيمتها عشرة آلاف دينار[4] كما سارع القادر صاحب بلنسية بتقديم التحف والهدايا للسيد القمبيطور، وأبلغه بأن يضع المملكة تحت حمايته وألزمه بدفع الجزية، بمقدار ألف دينار سنويا ولقد السيد نجاح كبيرا في شرق الأندلس واشت الاضطراب ببلنسية مما زاد غضب أهالي بلنسية على ملكهم خوفهم بأن تسلم المدينة للنصارى كما فعل قبل بطليطلة. وبعدما توفي القادر بن ذي النون تولى أمر بلنسية عبد الرحمان بن حجاف[5] حيث تحالف مع القائد المرابطي فسارع السيد القمبيطور وضرب الحصار على المدينة واستطاع بذكائه أن يخدع القاضي ابن جحاف وطلب منه سرا طرد المرابطين من المدينة، مقابل تركه سيدا عليها وتعهد له بالعون والحماية وتم الاتفاق بينهم، وخرج المرابطين،

[1] حسن أحمد أحمد محمود:المرجع السابق,ص309.

[2] يوسف اشياخ:المرجع السابق,ج1,ص96.

[3] مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص67.

[4] دوزي رينهارت: المسلمون في الأندلس، ج3، ص 138.

[5] هو جعفر بن عبد الرحمان بن جحاف المعافري، وهو من بلنسية وتولى رئاسته في المدينة عند قتل القادر بن ذي النون، وتعرض له السيد القمبيطور – أنظر : ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج 3 ، ص 306.

فتلك الاتفاقات السرية أعاقت جهاد المرابطين ومشروعهم في الأندلس فعادت بلنسية تخضع لادارة الفارس القشتالي[1] ووقف في وجه المرابطين وما ان وقعت بلنسية تحنت سلطانه، أخذ يضايق ويطالب أهلها بالأموال وتعرض سكانها إلى حصار شديد، حتى أكل الناس الجلود والدواب وسعى بكل قواه ارهاب سكانها، واستعجل بفتح المدينة قبل وصول المرابطين لها. وأرغم سكانها بعدم المغادرة، وصمد أهلها طامعين [أن تصل إليهم نجدة المرابطين فاستجاب أمير المرابطي يوسف بن تاشفين لندائهم وأمر بجيوشه بالتحرك وكان على رأسهم أبو بكر بن إبراهيم اللمتوني وتقدمو نحو بلنسية، وطمعو سكانها بالانتصار على السيد القمبيطور ظنا بالمرابطين خيرا. لكن قائد المرابطين اللمتوني انسحب فلم يسعفهم الحظ في الاشتباك وضاعت بلنسية من المسلمين [2] وخاب أمل سكانها بالمرابطين ، الى انسحب بقلة الأزواد،وفرح السيد القمبيطور فرحا شديدا وهو يرى الجيوش المرابطية هو يتراجعون عن لقائه فازداد حقد السيد على البلنسيين بالضغط عليهم من جديد ،فاسرعوا الى قاضيهم ابن جحاف يطلبون تسليم المدينة له [3] وفتحت المدينة أبوابها للسيد وجنوده ،فدخلها على رأس جنوده القشتاليين كان ذلك سنة (487هـ/1094م). ومن خلال السياسة التي اتبعها استطاع تأسيس ملك له في بلنسية .وسقطت بلنسية في أيدي النصارى الاسبان وشعر المرابطون بالمسؤولية في ضياع المدينة ،حيث توالت عليهم الصرخات على أمير المسلمين لاسترجاع المدينة .

تجدد الخلافات بين ملوك الطوائف .

كانت فترة عصر أمراء الطوائف بالأندلس مليئة بالنزاعات والخلافات التي سمحت لتلك الممالك النصرانية تعبث كيفما شائت وعند اشتداد الخطر عليهم بادر المعتمد بن عباد أمير اشبيلية ،بطلب العون ومساعدة من اخوانه المرابطين بالمغرب،وكانت مخاوفه أن يذهب ملكه بعد أن توترت علاقته بحليفه ألفونسوا السادس الذي كان يدفع له الجزية مقابل مساعدته في حروبه مع اخوانه الأمراء ملوك الطوائف . حيث عندما أراد بن عباد ضرورة تدخل

[1] محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 24.

[2] حسن مؤنس، السيد القمبيطور :ص،ص60.

[3] ابن عذارى المراكشي :المصدر السابق ،ج4،ص33.

أمير الصحراء لتخليصهم من هجمات ألفونسوا السادس ،التي أصبحت أشد على المسلمين وطأة وتسلطا .فرفض ابنه الرشيد استعانه بهم .مخاوفه من يوسف بن تاشفين أن يسلب ملكه ويشتت الشمل ،فكان رد المعتد بن عباد قائلا(يا ولدي أن أموت راعيا بالمغرب خير عندي من أراضي الأندلس،دار كفر فتكون اللعنة على المسلمين أبد الدهر).[1]

فكان وصول المرابطين الى الأندلس ،هو بداية عهد جديد في الجهاد، فرأى يوسف بن تاشفين ذلك الضعف في ملوك الطوائف فطمع النصارى في بلاد وما إن انتصر في معركة الزلاقة عند عبوره وجوازه للأندلس ،وحد كلمة المسلمين ونصحهم بضرورة التفاف حول بعضهم البعض وإعلاء كلمة الجهاد .

ورغم ما تحقق من جراء معركة الزلاقة ،وتراجع حرب استرداد على أمراء الطوائف وتنفست بلاد الأندلس من هجمات النصارى.ولكن سرعان ما اضطربت أحوال الأندلس بعودة الفوضى برجوع أمراء الطوائف بحالة التفرقة والتنازع في ما بينهما[2]. فتصاعدت الخلافات بينهم فلم يشغل ملوك الطوائف، أوضاع ألفونسو السادس المتردية التي لحقت به أعقاب الزلاقة . وان يبادروا على تنظيم قواتهم واسترداد المدن التي تحت الاسبان. بل أصبحت ميزتهم الخدعة والتآمر ضد بعضهم البعض بعد عودة يوسف بن تاشفين للمغرب.

وبررت أطماع المعتمد بن عباد من جديد وذلك بالسيطرة على الأندلس وتوسع مملكته.

[1] ابن الخطيب :أعمال الأعلام ،ص245.

[2] عبد الله بن بلقين :المصدر السابق ،ص134.

## دولة الموحدين في بلاد المغرب والأندلس

### ظهور المهدى بن تومرت:

لم تنعم دولة المرابطين بالهدوء والاستقرار منذ ظهور الداعية محمد ابن تومرت على مسرح الأحداث، وقد نشأ ابن تومرت نشأة دينية بقبيلة «هرنمة» إحدى قبائل المصامدة، ولكن ما تلقاه من علوم في وطنه لم يَرْوِ ظمأه، فسافر إلى المراكز الثقافية المشهورة بالعالم الإسلامي، وبدأ رحلاته إلى الأندلس في مطلع القرن السادس الهجري، ثم إلى المشرق مارًا بالإسكندرية، ومنها إلى مكة ثم إلى بغداد حيث التقى هناك بأكابر العلماء أمثال أبى بكر الطرطوشي، واستغرقت رحلته في طلب العلم نحو خمسة عشر عامًا مكنته من التزود بقدر كبير من الثقافة والمعرفة، وتعرُّف أحوال العالم الإسلامي، ومدى انقسام المسلمين وفرقتهم بالمشرق. وبعد أن عاد إلى المغرب بدأ دعوته بمدن المغرب محاولاً إصلاح الأوضاع الفاسدة وتغييرها. فوجدت دعوته قبولاً وترحيبًا من الجماهير، ورفضًا شديدًا من الحكام؛ إذ رأوها خطرًا يهدد مصالحهم ومراكزهم. والتقى ابن تومرت خلال هذه الرحلة بعبد المؤمن بن علي الذي أصبح من أخلص تلاميذه، وصاحبه في كل مكان يذهب إليه، ثم دخل ابن تومرت العاصمة مراكش في منتصف ربيع الأول سنة 515هـ، وقام بدوره في الوعظ والإرشاد، واعترض على سياسة الدولة في بعض الأمور، فوصل خبره إلى الأمير يعلى بن يوسفي الذي استدعاه، وجمع كبار العلماء والفقهاء لمناظرته. وانتهى الأمر بطرده من العاصمة خشية التأثير على العامة وإضعاف مراكز الفقهاء. وكانت الحصافة السياسية تقتضى سجن هذا الداعية أو التحفظ عليه لخطورته على الدولة، وهو ما تحقق عقب مغادرة ابن تومرت مراكش، إذ أعلن عن نياته في مواجهة السلطة الحاكمة، وخلعه الأمير على بن يوسف، وبايعه مَن حوله إمامًا للدعوة الجديدة في سنة 515هـ، واتخذ من مدينة «تينملل» مقرا له، ومركزًا لدعوته، وشرع في تحقيق أهدافه السياسية والدينية لإقامة خلافة إسلامية بالمغرب، ولم يدخر في ذلك وُسعًا ولا وسيلة إلا استغلها، وعمد إلى نشر دعوته بين السذج، وألَّف لهم في التوحيد والعقيدة بلغتهم البربرية حتى يسهل عليهم التعلم، ويسهل عليه السيطرة عليهم، ومن ثم باتت له الكلمة العليا في كل شؤونهم.

**وفاة ابن تومرت 524هـ:**

شارك ابن تومرت في الكفاح المسلح ضد دولة المرابطين، وتذكر المراجع أنه اشترك في تسع غزوات، وكانت معركة البحيرة التي أصيب فيها الموحدون بالهزيمة هي السبب الرئيس في خيبة أمل ابن تومرت ومرضه؛ حيث قتل فيها عدد كبير من أتباعه، ولكن بقاء تلميذه ومساعده عبد المؤمن بن علي على قيد الحياة كان سببًا في تخفيف هذه الصدمة، ومع ذلك لزم ابن تومرت داره، واشتد عليه مرضه، وفارق الحياة في سنة 524هـ، وخلَّف وراءه حربًا مشتعلة على أرض «المغرب الأقصى».

**عبد المؤمن بن على:**

حمل عبد المؤمن أعباء الدعوة عقب وفاة أستاذه، وشُغل بتنظيم شؤون الموحدين، مدة عام ونصف العام، ثم شرع في الكفاح ضد المرابطين في منطقة الأطلس جنوبي مراكش في وادي درعة وبلاد السوس وبلاد جاحة القريبة من تينملل، ثم استولى الموحدون على مراكش عاصمة المرابطين في سنة 541هـ، بعد كفاح دام أكثر من عشر سنوات كان النصر فيها حليفًا للموحدين.

وقد نجح عبد المؤمن في إحكام قبضته وسيطرته على المغرب الأقصى بعد سقوط دولة المرابطين بسقوط عاصمتهم مراكش، ثم وجه اهتمامه إلى الشرق، وبعث بحملاته المتتابعة التي وصلت حتى طرابلس بإفريقية، فساعد هذا النصر على تحقيق الوحدة السياسية للمغرب الإسلامي، وتلقب عبد المؤمن بلقب خليفة، واتخذ من مراكش عاصمة للخلافة، ثم شرع في تجهيز حملة كبيرة لدفع النصارى عن مدن الأندلس في سنة 556هـ، إلا أن مرضه حال دون إتمام هذه الحملة، ومات سنة 558هـ.

**يوسف بن عبدالمؤمن:**

بويع يوسف سنة 558هـ، ليكون خلفًا لوالده. وما إن استقر في العاصمة حتى واجهته ثورة مرزدغ الصنهاجى بجبال غمارة، فنجح في القضاء عليها وتفريق أعوانها، ثم أمر بقتل مرزدغ، وحمل رأسه إلى العاصمة مراكش. ووجه ابن عبد المؤمن جُلَّ جهوده إلى دعم سلطة الموحدين

بالأندلس، وبعث بالحملات المتتابعة إليها، وخرج على رأس إحداها في سنة 566هـ، لتأمين ثغور الأندلس وضبطها وإصلاحها، ثم خرج سنة 579هـ على رأس حملة كبيرة إلى الأندلس لغزوها، إلا أنه أصيب بسهم عند أسوار شنترين، فأسرع الجند بحمله والعودة به مصابًا إلى مراكش، فقضى نحبه في سنة 580هـ.

**المنصور الموحدى:**

ولى يعقوب بن يوسف بن عبالمؤمن خلفًا لوالده سنة 580هـ، ولقب نفسه بالمنصور، وتوزعت جهوده العسكرية في أكثر من ميدان؛ حيث قامت ثورة بزعامة الجزيري الذي أخذ يدعو لنفسه بين القبائل في سنة 585هـ فقضى عليها المنصور وقتل زعيمها، ثم قامت ثورة أخرى ببلاد الزاب بزعامة رجل يدعى الأشلّ سنة (589هـ فكان مصيرها الفشل مثل سابقتها.

أما ثورة بنى غانية، التي استهدفت إحياء دولة المرابطين والدعاء للخلافة العباسية على المنابر بإفريقية، فكانت الخطر الحقيقي الذي هدد دولة الموحدين، فوجّه المنصور إليها كل جهوده للقضاء عليها، وعلى الرغم من تكرار المحاولة فإنه لم ينجح في القضاء عليها نهائياً.

وقد أولى المنصور الأندلس اهتمامه وعنايته، ودخل في عدة معارك مع الإفرنج؛ كانت أبرزها معركة الأرك في سنة 591هـ، تلك التي أوقفت زحف النصارى، وزادت من هيبة الموحدين ومكانتهم بالشمال الإفريقي، ثم أصيب المنصور بوعكة صحية أدت إلى وفاته في سنة (595هـ).

**الناصر الموحدى:**

تولى الناصر أبو عبد الله محمد بن يعقوب خلفًا لوالده المنصور، فحدثت في عهده بعض التطورات السياسية والعسكرية التي انتقلت بدولة الموحدين من مرحلة القوة والسيادة إلى مرحلة الانهيار

والسقوط؛ حيث تمكن في بداية حكمه من القضاء على ثورة بنى غانية بإفريقية التي دخلها في سنة (598هـ)، وعاد منها في سنة (604هـ)، بعد أن ولى على إفريقية أبا محمد عبد الواحد بن

أبى حفص أحد أشياخ الموحدين، فعكف ابن أبى حفص على معالجة شؤون إفريقية، ودعم سلطان الموحدين بها، إلا أن ولاية أبى حفص كانت البداية لقيام دولة الحفصيين بتونس؛ حيث استقل أبناؤه - بعد ذلك - بها وأسسوا ملكًا مستقلاً. وقد فُجع الموحدون بهزيمة قاسية بالأندلس في معركة العقاب التي راح ضحيتها عدد كبير من الجند، مما أضعف دولة الموحدين وأفقدهم هيبتهم، وأُصيب الناصر بالمرض، وتوفى في سنة (610هـ).

وقد عرف الانهيار والضعف طريقهما إلى دولة الموحدين عقب وفاة الناصر، ودخلت الدولة مرحلة من الفوضى، والصراع بين أفراد البيت الموحدي، فضلاً عن اندلاع الثورات والقلاقل في أماكن متعددة، وظل هذا حالها حتى سنة (668هـ)، التي قتل فيها أبو دبوس آخر خلفاء الموحدين أمام أسوار العاصمة مراكش التي دخلها المرينيون وقضوا على «دولة الموحدين». وقد تولى عقب وفاة الناصر عدد من الخلفاء الضعاف، هم:

**1 - أبو يعقوب يوسف الثاني المستنصر بالله [611- 620هـ].**

**2 - أبو محمد عبد الواحد المخلوع [620- 621هـ].**

**3 - أبو محمد عب دالله العادل [ 621 - 624هـ.].**

**4 - المأمون أبو العلاء إدريس ابن يعقوب المنصور[624- 630هـ].**

**5 - أبو محمد عبد الواحد الرشيد [630 - 640هـ].**

**6 - أبو الحسن على السعيد المقتدر بالله [640 - 646هـ].**

**7 - أبو حفص عمر المرتضى [ 646 - 665هـ].**

**8 - أبو العلاء إدريس الثاني (المعروف بأبي دبوس) [665 - 668هـ].**

**العلاقات الخارجية:**

انحصرت علاقات الموحدين الخارجية في جبهتين هما: «الأندلس»، والخلافة العباسية.

أما الأندلس، فقد استولى عليها الموحدون مع غيرها من المدن من المرابطين، وساروا على نهج من سبقهم في التصدي لعدوان النصارى، وأعدوا الحملات، وخاضوا المعارك من أجل تحقيق هذا الهدف، ولكن هزيمتهم في معركة العقاب في عام (609هـ)، كانت بداية انحسار نفوذهم على أرض الأندلس، ومن ثَم بدأت القوى النصرانية تحقق انتصاراتها حتى زالت «دولة الموحدين».

وقد اختلف موقف الموحدين من الخلافة العباسية عن موقف المرابطين؛ حيث لم يعترف الموحدون بالعباسيين، واعتبروا أنفسهم خلفاء، وأن مركز الخلافة مدينة مراكش، وليس بغداد، ودعموا خلافتهم بالادعاء بأن ابن تومرت وعبد المؤمن من نسل الرسول عن طريق الأدارسة، واتخذوا اللون الأخضر شعارًا لهم كي يظهروا ميلهم إلى الدعوة العلوية، وتشبهوا بالرسول في تصرفاته وأفعاله.

# مملكة غرناطة المستقلة

## أ. قيام الدولة وتوطيد أركانها :

اهتز عرش الموحدين بعد الهزيمة التي تكبدوها في معركة العقاب[1] أمام الجيوش الإسبانية والأوربية المتحالفة في 15 صفر 609 هـ / 16 جويلية 1212م، فاختلت أمور الدولة وكثر الثوار والمنتزين في كل ناحية وضعفت سيطرتهم على ممتلكاتهم الواسعة، فأخذت قواعد الأندلس تسقط من أيديهم فبعضها يقع تحت سيطرة النصارى، والبعض الأخر يسيطر عليه ابن هود[2].

وفي هذه الأثناء ظهر محمد بن يوسف بن نصر(629-672هـ/ 1232-1273م)[3]، والذي وصف بالقائد الشجاع المجاهد حسب قول بعض المؤرخين[4]، فالتف حوله الأصحاب والأنصار أولا في مدينة أرجونه موطن أسرته، فبويع له بعد صلاة الجمعة

---

[1] العقاب بكسر العين ، جمع عقبة وهو الجبل الطويل الذي يعرض للطريق، وهو طويل صعب شديد، والمقصود به موقع بين قلعة رباح وجيان، فهذه المعركة وقعت في عقاب وأوعار بجبال الشارات . ابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري: **لسان العرب المحيط**، إعداد وتصنيف يوسف خياط، نديم مرعشي، دار لسان العرب، بيروت ، ج2 ، ص 833.

[2] هو محمد بن يوسف بن هود من نسل المستعين بن هود، كان من أصناف الجند سيطر على مناطق عديدة في جنوب الأندلس بداية بالاستقلال بمرسية ، حيث أرسل إلى الخليفة في بغداد ببيعته فوصله التقليد من الخليفة المستنصر العباسي، فشاع خبره فجيش الجيوش، كما عرف بالعجلة والتهور ، توفي سنة 635هـ / 1238م. لسان الدين بن الخطيب : **الإحاطة في أخبارغرناطة** ، تحقيق يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2003، ج 2 ، ص 74. 76.

[3] هو محمد بن يوسف بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الأنصاري الملقب بالغالب بالله وكنيته أبو عبد الله، وهو من بيت أندلسي عريق ، حيث يعود نسبهم إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج ، نشأ بأحواز أرجونة قرب قرطبة ، أسس مملكة غرناطة بعد ضياع ملك الموحدين حكمها من 629هـ/ 1232م إلى وفاته سنة 672هـ/ 1273م ، أنظر : المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 51.

[4] المقري أحمد بن محمد التلمساني : **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ، 1988، ج 1 ، ص 201. ابن الخطيب لسان الدين : **كناسة الدكان بعد انتقال السكان** ، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط 1 ، 2003، ص 15.

من يوم 26 رمضان سنة 629 هـ /16 جويلية 1232م، فانتشرت دعوته في المناطق المجاورة[1].

وفي الأول من شهر رمضان من سنة 634 هـ / 28 أفريل 1237م ثارت مدينة غرناطة[2] على قائدها ثم دخلت في طاعة ابن الأحمر[3], وهو ما دفع ابن الأحمر إلى الإسراع إليها فدخلها في رمضان سنة 635هـ/ أفريل 1238م, حيث اتخذها عاصمة لدولته الجديدة[4].

لم يستقر ابن الأحمر في العاصمة الجديدة طويلا حتى توجه إلى مدينة المرية , لينتزعها من حاكمها أبي عبد الله محمد بن الرميمي[5] , الذي قام بحصارها أمدا حتى اتفق الطرفان على تسليم المدينة لابن الأحمر[6].

---

[1] ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد: **العبروديوان المبتدأ والخبرفي أيام العرب والعجم والبربرومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار ابن حزم ، بيروت ط 1 ، ص 2001، ج4 ، ص 336.

[2] غرناطة : عرفت المدينة غرناطة أهمية بالغة مع الأسرة النصرية، فشهدت وصول أعدادا كبيرة من الأندلسيين المهاجرين من المدن التي سقطت في يد النصاري، فهي التي كانت عبارة عن مدينة صغيرة زمن الفتح الإسلامي من أعمال كورة إلبيرة[2]، وبقيت كذلك حتى جاء الزيريون واتخذوها عاصمة لمملكتهم[2] سنة 403 هـ / 1012م، فازدهرت مدينة غرناطة بشكل كبير، ابن بلقين بن زيري : **مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان**، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف، مصر، 1955، ص 22.

[3] ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله : **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1978، ص 35.

[4] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبارغرناطة**، ج 2 ، ص 65.

[5] هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن يحيى الرميمي يعود أصله إلى أمراء بني أمية بالأندلس، وينسبون إلى رميمة من أعمال قرطبة، كان تابعا لابن هود، أنظر : ابن سعيد علي بن موسى المغربي : **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف، القاهرة، 1964، ، ج 2 ، ص 198. مؤلف مجهول : **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، تحقيق ونشر محمد بن أبي شنب ، الجزائر ، 1920

[6] ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبارغرناطة**، تحقيق يوسف علي طويل، ج 2 ، ص 54.

وفي مالقة ثار الأهالي على عبد الله بن ذنون وبعثوا بسفارة لمبايعة ابن الأحمر والانضمام لدولته وكان ذلك سنة 636هـ/1239م[1].

وبسيطرة ابن الأحمر على هاذين الميناءين الهامين "المرية ومالقة"، تمكن من أكبر العوامل التي ساعدت على تقوية هذه الدولة الناشئة، وذلك لأهميتهما العظمى في المجالين التجاري والعسكري.

وقد واجهت ابن الأحمر العديد من المشاكل كان أبرزها مشكلة نقص المال، والذي يعد عنصرا هاما في تدعيم أركان دولته والدفاع عنها، خاصة إذا ما أخذنا في الحسبان ارتفاع عدد الأندلسيين المهاجرين من القواعد والمدن الأندلسية التي سقطت في يد النصارى إلى منطقة غرناطة, فما كان منه إلا أن قام بمصادرة أموال المشرفين[2] وممتلكاتهم مبتدئا بمشرف المرية[3]، إضافة إلى طلب المساعدة من الدول القريبة مثل الدولة الحفصية، حيث بايع ملكها مقابل الحصول على بعض الأموال[4].

كما شكلت الممالك النصرانية في الشمال خطرا حقيقيا على مستقبل الدولة النصرية، وذلك عندما قرروا القضاء عليها, وهو ما دعى ابن الأحمر للاستعانة ببني مرين في المغرب الأقصى, إلا أن قوة النصارى وتفوقهم العسكري أجبرته على مهادنتهم لمدة عشرين سنة، وكان ذلك سنة 643 هـ / 1245م، مقابل أن يكون ابن الأحمر تابعا

---

[1] ابن الخطيب : **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، تحقيق أحمد مختار العبادي، القاهرة، 1967، ص 331، ابن الخطيب : **تاريخ أسبانية الإسلامية أوكتاب أعمال الأعلام** ، تحقيق ليفي بروفنسال، ط2 ، دار المكشوفة ، بيروت ، 1956 ، ص 287.

[2] جمع مشرف، حيث كان لكل مدينة أندلسية مشرف يقيم في دار الإشراف ، وهو الموظف المالي الذي يجمع الضرائب والإيجارات الخاصة بممتلكات السلطان،. أنظر أحمد محمد الطوخي : **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997،ص 211.

[3] ابن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد :***البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*** ، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الثقافة ،ط 2، بيروت ،1980، ج 3 ، ص 345.

[4] ابن الخطيب : **اللمحة البدرية** ، ص 31.

لهم في حكمه لمملكة غرناطة، وأن يؤدي جزية سنوية كبيرة ويساعدهم في حروبهم ضد أعدائهم من المسلمين والنصارى، وبذلك شارك ابن الأحمر ملك قشتالة في حصاره لأشبيلية حتى سقطت في 3 شعبان سنة 646 هـ / 20نوفمبر 1248م[1].

وعند وفاة الشيخ ابن الأحمر في جمادى الثانية سنة 671هـ /700م [2] ديسمبر 1272م، اعتلى ابنه محمد الثاني (672 – 701هـ/ 1273-1302م)العرش، فرتب أمور الدولة ووضع ألقاب خدمها ونظم دواوينها وجبايتها[3]، كما انتصر على النصارى في عدة مواقع، إلا أنه سرعان ما عاد للتحالف معهم ضد بني مرين الذين طمعوا في السيطرة على الأندلس[4].

توفي محمد الثاني في شعبان من سنة 701 هـ ماي 1302م، فخلفه ابنه أبو عبد الله محمد (701-708هـ/1302-1309م)، الذي افتتح سبتة، فتدهورت العلاقات بين غرناطة وفاس[5]، كما واجه التحالف الأراغوني القشتالي الذي حاول غزو غرناطة، وهو ما أدى إلى فتنة داخلية في المملكة أدت إلى عزل أبي عبد الله، وتنصيب أبي الجيوش نصر(708-713هـ/1309-1314م) مكانه، والذي كانت فترة حكمه مليئة بالمآسي، حيث سقطت الجزيرة الخضراء في يد فرناندو الرابع(694. -712هـ/ 1295-1312م) ملك قشتالة، وازدادت الأمور سوءا عندما أعلنت مالقة الثورة والعصيان، ودارت الفتنة حتى وفاة أبو الجيوش نصر سنة 713هـ[6] / 1314م.

تولى أبو الوليد إسماعيل بن فرج (713-725هـ/1314-1325م) مقاليد الأمور في غرناطة، والذي تصفه المصادر بأن سيرته كانت حسنة وأنه كان عادلا، ففي عهده قام

---

[1] ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 385.

[2] ابن خلدون : **العبر** ، ج 7 ، ص 191.

[3] أحمد محمد الطوخي : **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر** ، ص 32.

[4] ابن الخطيب : **اللمحة البدرية** ، ص 44 ، مؤلف مجهول : **الذخيرة السنية** ، ص 159. 170.

[5] ابن خلدون : **العبر** ، ج 7 ، ص 228 ، 229.

[6] أحمد مختار العبادي : **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس** ، ط1 ، الإسكندرية، 1968، ص 409 ، 411

القشتاليون بهجوم ضخم على غرناطة انتهى بهزيمة المعتدين ومقتل الأميرين دون بيدرو don pedro ودون خوان don juan الوصيان على عرش ألفونسو الحادي عشر(712 – 751هـ / 1312-1350م)[1]، فانتهز أبو الوليد الفرصة وقام باسترجاع بعض المدن الأندلسية من سيطرة القشتاليين مثل بسطة وأشكر[2].

وكانت نهاية أبي الوليد إسماعيل مقتولا بباب قصره، عند عودته من هذه الانتصارات سنة 725 هـ / 1325م بيد ابن عمه محمد بن إسماعيل بن فرج[3]، والذي خلفه في الحكم (725-733هـ / 1325- 1333م)[4]، اتسم عهده بالفتنة والنزاع مع شيخ الغزاة أبي سعيد عثمان بن أبي العلاء[5]، وهو الأمر الذي شجع القشتاليين لانتهاز الفرصة، فاستولوا على عدد من الحصون الشمالية. كما أحرز أسطولهم انتصارات على الأسطول الغرناطي في مياه المرية ومالقة، وقد انتهت هذه الظروف بمقتل السلطان محمد الرابع (725-733هـ / 1325- 1333م)، فخلفه على عرش المملكة أبو الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل (733 - 755 هـ / 1333 - 1354م)[6].

2 . عصر القوة والازدهار :

يبدأ العصر الذهبي لمملكة غرناطة بتولية أبي الحجاج يوسف الأول (733 - 755 هـ / 1333 - 1354م) ، ففي عهده تأسست المدرسة اليوسفية أو النصرية سنة 750 هـ

---

[1] ابن الخطيب : **ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام** ، دراسة وتحقيق محمد الشريف قاهر ، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر ، 1973 ، ص 591 .

[2] ابن الخطيب : **اللمحة البدرية** ، ص 27 ، ابن خلدون : **العبر** ، ج 7 ، ص 188.

[3] المصدر نفسه ، ص 74.

[4] أحمد محمد الطوخي : **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر** ، ص 37.

[5] ابن الخطيب : **تاريخ أسبانية الإسلامية** ، ص 296. ابن خلدون : **العبر** ، ج 4 ، ص 174.

[6] ابن الخطيب : **اللمحة البدرية** ، ص 83 ، ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة** ، تحقيق يوسف علي طويل، ج 4 ، ص 280-296.

/ 1349م، كما أنشأ عددا من المصانع[1]، وحصن البلاد فجدد حصن فارة بمالقة[2]، وأنشأ السور العظيم حول ربض البيازين[3]، كما أقام باب الشريعة في قصر الحمراء، وكذا برج قمارش والحمامات السلطانية وقصر متشوكة ومصلى البرطل، فاهتم بمصالح شعبه فكان يقوم برحلات يتفقد من خلالها أحوالهم[4].

وقد حدث في عهد هذا السلطان الوباء العظيم أو الطاعون الأسود الذي تفشى في حوض البحر المتوسط سنتي 749 – 750 هـ / 1347 – 1348م، والذي حصد عددا عظيما من الناس ومن علماء الأندلس ورجال الدين والأدب والسياسة، كما اشتد الصراع في عهد أبي الحجاج يوسف حول السيطرة على جبل طارق بينه وبين المرينيين من جهة ضد مملكة قشتالة وأراغون والبرتغال من جهة أخرى، على الرغم من اتفاق الصلح الذي عقد مع قشتالة سنة 734 هـ / 1334م[5]، فبدأت المعارك سنة 740 هـ / 1340م، كان النصر في البداية لقوات المسلمين، إلا أنهم في النهاية انهزموا في موقعة طريف في جمادى الأولى سنة 741 هـ / أكتوبر 1340م[6]، وعلى إثر ذلك استولى ملك قشتالة على قلعة يحصب وباغو، كما حاصر الجزيرة الخضراء حتى سقطت في يده

---

[1] محمد كمال شبانة : المرجع السابق ، ص 101.

[2] ابن الخطيب : **اللمحة البدرية** ، ص 96.

[3] حي كبير ومشهور من أحياء غرناطة يقع في الشمال الشرقي على التل المواجه لتل قصور الحمراء وحصونها، وهو حي شعبي شارك في العديد من الفتن أيام بني نصر ويسمى اليوم AL BAICINS، والآن أصبحت فيه ساحة تحمل اسم القديس نيقولا تشرف على نهر حدارة، وما زالت بهذا الحي شوارع ضيقة وبيوت أندلسية الطراز .أنظر : حسين مؤنس : **رحلة الأندلس** ، مطابع كوستا تسوماس ، القاهرة ، 1964، ص 224 – 226 ، محمد كمال شبانة : المرجع السابق ، ص 104.

[4] ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد : **مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس**، الإسكندرية ، 1985، ص 25 – 35. محمد كمال شبانة : **يوسف الأول بن الأحمر سلطان غرناطة** ، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، القاهرة ، 2004، ص 108.

[5] ابن الخطيب : **اللمحة البدرية** ، ص 81

[6] أحمد مختار العبادي : **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس** ، ص 419.

سنة 744 هـ / 1344م، وانتهت المواجهات بعقد صلح بين قشتالة وغرناطة والمغرب مدته عشر سنوات[1].

توفي السلطان يوسف الأول قتيلا في شوال من سنة 755 هـ / أكتوبر 1354م، فخلفه ابنه محمد الخامس الغني بالله (755 – 760هـ/ 763 – 793هـ / 1354 – 1359م / 1362 – 1391م) في عهده حاول السلطان المريني أبي عنان فارس[2] (748-759هـ/ 1348-1358م) غزو الأندلس والسيطرة على مضيق جبل طارق، فتحالف مع بدرو الرابع (736-789هـ/ 1336-1387م) ملك أراغون ضد بني مرين، إلا أن هذا الغزو لم ينفذ بسبب وفاة السلطان أبي عنان سنة 759 هـ /1358م فتوقفت هذه الخطة، حيث تحالف سلطان المغرب الجديد أبو سالم ت796هـ/ 1393م مع قشتالة وغرناطة[3].

وكانت نتيجة لتحالف محمد الخامس مع ملك قشتالة، هي مساعدته بأسطول حربي ضم عشر شواني بجميع بحارتها وأسلحتها، كما سمح له باستخدام القواعد البحرية الغرناطية، لخوض حربه ضد أراغون، وفي هذه الأثناء وقع انقلاب عسكري في مملكة غرناطة انتهى بخلع السلطان محمد الخامس وتولية أخيه أبي الوليد إسماعيل الثاني(760هـ/1359-1360م) في رمضان سنة 760هـ /جوان 1359م[4]، فما كان من محمد الخامس إلا أن فر إلى المغرب ولجأ إلى السلطان المريني أبي سالم[5].

---

[1] ابن خلدون : **العبر** ، ج 7 ، ص264.

[2] ابن الخطيب : **أعمال الأعلام** ، ص 304.

[3] أحمد محمد الطوخي : **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر** ، ص 40.

[4] أحمد مختار العبادي : **فترة مضطربة في تاريخ غرناطة** . صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ، 1959 ، المجلد السابع والثامن، ص 43.

[5] المقري : **نفح الطيب** ، ج 7 ، ص 33- 35، أحمد المقري التلمساني : **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض** ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة، (دت)، ج 1 ، ص 204.

لم يطل حكم سلطان غرناطة الجديد أبي الوليد أكثر من سنة، حيث قام عليه زوج أخته وابن عمه أبو سعيد محمد البرميخو elbermego فقتله في شعبان من سنة 761 هـ / جوان 1360م، ، وتحالف مع أراغون ضد قشتالة بسعى من ملكها بدرو الأول الذي طلب مساعدة محمد الخامس في استرداد عرشه[1]، بحكم الاتفاق المبرم بينهما ، فغير السلطان الغرناطي المخلوع وجهته إلى رندة التابعة لبني مرين[2]، فخاض حروبا ومعارك بمساعدة ملك قشتالة انتهت باسترجاعه ملك غرناطة[3]، وقد أظهر محمد الخامس حنكة ولباقة في سياسته مع بني مرين بفضل دهاء وزيره لسان الدين بن الخطيب، ورغم ذلك فقد وقع هذا الأخير ضحية التآمر داخل البلاط النصري، وقتل في المغرب بتحريض من تلميذه ابن زمرك[4].

وعند اشتعال الحرب الأهلية في قشتالة، انتهز محمد الخامس الفرصة وقام بعقد حلف مع ملك البرتغال فرناندو الأول(746-785هـ/1345-1383م) وسلطان المغرب عبد العزيز بن أبي الحسن المريني (738 – 744هـ/ 1366 - 1372م)، وكان الاتفاق بأن يهاجم سلطان غرناطة الجزيرة الخضراء جنوبا[5]، بينما يقوم ملك المغرب بالهجوم على قشتالة، ونجحت الخطة وتم استرجاع الجزيرة الخضراء وذلك سنة 770 هـ / 1369م[6]، وكان هذا السلطان خاتمة لعصر تميز بالقوة والازدهار في مملكة غرناطة إذا ما قورن بالعصور الأخرى.

---

[1] أحمد محمد الطوخي : **مظاهر الحضارة في الأندلس** ، ص 41.

[2] ابن الخطيب : **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب** ، ص 184.

[3] ابن الخطيب : **اللمحة البدرية** ، ص 117.

[4] هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد الصريجي ، يعرف بابن زمرك ، أصله من شرق الأندلس ، ولد في الرابع عشر من شوال سنة ثلاثة وثلاثين وسبعمائة ،أنظر : ابن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق يوسف علي طويل ج 2 ، ص 196 . 206.

[5] ابن الخطيب : **الإحاطة** ، ج 2 ، ص 24.

[6] ابن خلدون : **العبر** ، ج 7 ، ص 317، 328.

## نهاية مملكة غرناطة الإسلامية.

### 1. عصر الاضمحلال :

بعد وفاة السلطان محمد الخامس سنة 794 هـ / 1391م تعاقب على عرش مملكة غرناطة عدد من السلاطين الضعفاء عانت معهم المملكة وضعفت، كان في مقدمتهم السلطان يوسف الثاني (793 – 795 هـ/ 1392 – 1393م) بن محمد الخامس والذي كان مستبدا، وعند وفاته خلفه ابنه محمد السادس الغني بالله (795 – 810 هـ / 1393 – 1408م)، الذي كانت له العديد من الغزوات داخل مملكة قشتالة مستغلا بذلك الاضطرابات التي وقعت فيها، وتمكن من خلالها من الظفر بغنائم كثيرة[1].

توفي محمد السادس في 16 ذي الحجة سنة 810 هـ ، 13 ماي 1308م فخلفه أخوه يوسف الثالث (810 – 820 هـ / 1408 – 1417م)[2]، الذي كان مسجونا طيلة حكم السلطان السابق، فاستهل عهده بهدنة دامت سنتين مع قشتالة، وعند انقضائها رفض القشتاليون التجديد، فحاصروا مدينة انتكير[3] حتى سقطت في أيديهم سنة 812 هـ / 1410م، لم تفلح مقاومة أبناء المدينة ولا الجهود التي بذلها السلطان، وفي النهاية خضع يوسف الثالث لشروط القشتاليين حيث أصبح تابعا لهم حتى توفي سنة 820 هـ / 1417م[4].

---

[1] يوسف شكري فرحات : **غرناطة في ظل بني الأحمر. دراسة حضارية** . ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1982، ص 51 ، 52.

[2] محمد عبد الله عنان : **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط4، 1987 ،ج 4 ، ص 152.

[3] مدينة قديمة آهلة بالسكان تبعد عن مالقة بنحو 59 كلم، ابن الخطيب : **مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس** ، أحمد مختار العبادي، الإسكندرية ، 1985، ص 87.

[4] المقري : **نفح الطيب** ، ج 5 ، ص 140.

خلف يوسف الثالث ابنه محمد السابع[1] (820 – 858 هـ / 1417 – 1454م)، الذي طال عهده رغم سوء السيرة التي انتهجها مع الرعية بإطلاق يد وزرائه من بني سراج [2] في التحكم في رقاب الناس ، فثاروا عليه عدة مرات في غرناطة، حتى خلع، وبايع أهل المدينة أحد أبناء عمه الأمير محمد الزغير (831 – 833هـ / 1428 – 1430م)، فاضطر السلطان المخلوع إلى الرحيل مع أهله إلى تونس[3].

غير أن أبا عبد الله الزغير لم يفلح في إخماد الفتن والإضطرابات بسبب نفوذ بني سراج، فاستغل محمد السابع هذه الأحداث ونزل المرية مع فرسان من المغاربة وقام بتقديم هدايا لملك قشتالة حتى يساعده، فنودي به سلطانا وبايعه قسم كبير من الجند، ثم دخل غرناطة وحاصر قصر الحمراء حتى سيطر عليه، فقتل محمد الزغير سنة 833هـ / 1430م، وتربع على العرش من جديد.

اهتم محمد السابع بتنظيم المملكة وترتيب أحوالها فأعاد بني سراج إلى الوزارة وطلب تجديد الهدنة مع قشتاله, فاشترط عليه ملكها دفع الجزية والدخول في الطاعة, فرفض سلطان غرناطة ذلك, فكثرت هجمات القشتاليين على الثغور الغرناطية مما دفع ببعض الأمراء الطموحين إلى الطمع في الحكم وانقسموا إلى أحزاب متنازعة, فظهر منهم سعد بن إسماعيل(858-868هـ/1454-1464م)[4] النصري الذي تعهد بدفع الجزية للقشتاليين وكان يحضر مجلس الأعيان للحصول على دعمهم وتأييدهم، فدبر مؤامرة لخلع محمد السابع، وقصد غرناطة فدخلها سنة 839 هـ / 1436م، فأطاعته العامة والخاصة من أهل المدينة فاضطر السلطان المخلوع إلى الفرار إلى مالقة. غير

---

[1] محمد عبد الله عنان : **دولة الإسلام في الأندلس** ، ج 4 ، ص 155.

[2] بنو سراج ينتسبون إلى قبيلة قضاعة اليمنية، وقد عهد إليهم الأمويون حراسة سواحل إقليم بجانة في شرق الأندلس، وظهرت هذه الأسرة بقوة عندما لعبت دورا بارزا في مملكة غرناطة في القرن التاسع الهجري. الحميري محمد بن عبد المنعم : **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.1984، ص 37.

[3] المرجع نفسه، ص 156.

[4] يوسف شكري فرحات : المرجع السابق ، ص 55 ، 60.

أن حكم السلطان سعد لم يدم أكثر من سنة واحدة حيث توفي، فاتفقت الأحزاب على رد السلطان محمد السابع للمرة الثالثة[1].

لم تهدأ الأمور في غرناطة حيث ناصر أهل المرية ابن شقيق السلطان محمد الثامن الذي يدعى محمد الأحنف، فتمكن من عمه وعياله وزجهم في السجن ونادى نفسه سلطانا، وقيل أنه قتل عمه في السجن سنة 858 هـ / 1454م[2]، إلا أن هذا العمل لقي معارضة فاستنجد أهل غرناطة بابن عمه سعد بن إسماعيل (858 – 868 هـ / 1454 – 1464م) الذي انتقل إلى غرناطة مع فرسان من النصارى، فانتهى الأمر بهزيمة محمد الثامن وفراره، فدخل سعد المدينة وتسلم الملك[3].

وفي عهد هذا الأخير كثرت غارات القشتاليين على غرناطة ولم تتوقف حتى أعلن سعد تبعيته لملك قشتالة، بدفع جزية كبيرة، وكان من أبرز نتائج هذه الغارات سقوط جبل طارق في يد القشتاليين وبذلك قطعت طرق الإمداد من المغرب إلى الأندلس وأصبح الغرناطيون وحدهم في مواجهة الخطر النصراني[4].

كثرت الاضطرابات في مملكة غرناطة حيث ثار بنو سراج عندما حاول سعد التخلص من نفوذهم، فبايعوا السلطان علي الذي ثار على والده وسجنه حتى توفي سنة 868 هـ / 1464م[5] ، وبهذا بدأت غرناطة تنحدر للسقوط بيد النصارى.

**2. سقوط المملكة :**

---

[1] يوسف شكري فرحات : المرجع السابق ، ص 53.

[2] محمد عبد الله عنان : **وثيقة أندلسية قشتالية من القرن التاسع الهجري**، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد، العددان 1 ، 2 ، 1954، ص38.

[3] المقري : **نفح الطيب** ، ج2 ، ص 607.

[4] محمد عبد الله عنان : **دولة الإسلام في الأندلس** ، ج 4 ، ص 167.

[5] المرجع نفسه ، ج 4 ، ص 168.

اتسم أبو الحسن علي (868 – 887 هـ / 1464 – 1482م) بالشجاعة والحزم حيث عمد في مطلع عهده إلى تحصين البلاد وترميم الحصون وتنظيم الدولة, وانعكس ذلك بالإيجاب على المملكة[1].

كان لأبي الحسن علي زوجة عربية اسمها عائشة ابنة عمه السلطان أبي عبد الله الثامن, وتعرف بعائشة الحرة[2], وكان له منها ولدان أبو عبد الله وأبو الحجاج يوسف, وعندما تقدمت به السن تزوج من جارية إسبانية اسمها إيزابيلا وتعرف باسم ثريا الرومية[3]، وعند ذلك تغيرت طباع السلطان وغدا ميالا إلى الملذات وإلى مطالب زوجته الرومية الفتية، هذه الأخيرة أرادت أن يكون ولدها يحيى وليا للعهد، وما هي إلا فترة حتى تنكر السلطان أبو الحسن لزوجته عائشة وولديها واعتقلهم في برج قمارش بالحمراء وشدد الرقابة عليهم[4].

وكنتيجة لهذا العمل انقسم أهل غرناطة إلى مؤيد لعائشة الحرة ومؤيد للحظية الرومية، فاشتد السخط على السلطان وزوجته الرومية التي أصبحت سيدة الدولة الحقيقية[5]، فما كان من عائشة الحرة وولديها إلا أن قاموا بالفرار من القصر بمساعدة بني سراج حيث اختفوا لمدة حتى ظهر أبو عبد الله في وادي آش[6].

أما في الجهة المقابلة حيث الصراع مع نصارى الشمال، فقد حاول السلطان أبو الحسن تجديد الهدنة معهم، إلا أنه فشل نتيجة للشروط القاسية التي فرضوها عليه، ولهذا تجددت الغارات المتبادلة بين الطرفين، فقام أبو الحسن بالعديد من الغزوات،

---

[1] المقري : **نفح الطيب** ، ج 4 ، ص 512.

[2] المصدر نفسه ، ج 4، ص 512

[3] محمد عبد الله عنان : **دولة الإسلام في الأندلس** ، ج 4 ، ص 199.

[4] جمال يحياوي : **سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين** ، دار هومة ، الجزائر ، 2009، ص 32.

[5] يوسف شكري فرحات : المرجع السابق ، ص57.

[6] مؤلف مجهول :**نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر** ، تحقيق الفريد البستاني ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2002 ، ص 10.

ففي سنة 875 هـ / 1371م سيطر على قلعة الصخرة، كما غزى سنة 881 هـ / 1477 م منطقة مرسية، حيث أحرق المواسم وهدم القلاع ، وفي شتاء سنة 885 هـ 1481م اقتحم قلعة الزهرة والقرى المجاورة لها[1].

كما قام القشتاليون بغارات على القرى والحصون الغرناطية، ففي ذي الحجة من سنة 887 هـ فيفري 1483م هاجموا قلعة الحامة المنيعة فاقتحموها وأحرقوها بعد معركة كبيرة مع سكانها[2]، وكان لسقوطها أثر كبير على الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية لأنها تشرف على الطرقات والممرات الرابطة بين غرناطة ومالقة ورندة، فكان سقوطها خسارة عظمى تكبدتها مملكة بني الأحمر[3].

وقد تتطلب هذه الحرب المتواصلة التي تعيشها المملكة نفقات باهظة مما اضطر السلطان أبو الحسن إلى فرض ضرائب جديدة على السكان فأثار بذلك غضب العامة واستنكروا هذا الإجراء ، فعمت الفوضى أحياء عديدة من العاصمة، خاصة منها حي البيازين.، فاغتنم أهل المدينة غياب السلطان عنها ليعلنوا عن بيعتهم لأبي عبد الله بن عائشة الحرة (887. 888 هـ / 1482. 1483م)، وذلك بإيعاز من بني سراج، فدخلها أبو عبد الله سلطان غرناطة الجديد وسيطر على مقاليد الحكم، فما كان من والده السلطان المخلوع إلا الفرار إلى مالقة[4] حيث أخوه ومنافسه أبو عبد الله محمد المعروف بالزغل[5].

ومع هذه الأحداث غزى القشتاليون مالقة فحاولوا محاصرتها بعدما سيطروا على المناطق المجاورة لها، إلا أنهم انهزموا عندما واجههم الزغل بعدد من الفرسان، وكان

---

[1] محمد عبد الله عنان : **دولة الإسلام في الأندلس** ، ج 4 ، ص 200.

[2] المقري : **نفح الطيب** ، ج 4 ، ص 513.

[3] المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 513.

[4] المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 515.

[5] مؤلف مجهول :**نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر** ، ص10-13.

ذلك في 11 صفر 888 هـ / 21 مارس 1483م[1]، فشجع ذلك سلطان غرناطة أبي عبد الله فأعلن حربا على القشتاليين، فاجتاح خلالها عدة حصون ومدن، بعد معارك ضارية قتل فيها عدد كبير من جنده، وتمكن القشتاليون من أسر السلطان أبي عبد الله الصغير[2].

على إثر هذا الحدث قرر كبار غرناطة وقادتها إرجاع والده أبي الحسن علي (888 . 890هـ / 1483 . 1485م) إلى حكم البلاد[3]، في الوقت الذي قامت فيه قوات قشتالة بمحاصرة مدينة رندة التي استطاعت دخولها صلحا سنة 890 هـ / 1485م[4]، فلم يتمكن السلطان أبي الحسن من المقاومة لأنه أصبح شيخا ضريرا، عند ذلك تنازل عن العرش لأخيه أبو عبد الله محمد الزغل (890 – 892هـ / 1485- 1487م)، ثم انتقل إلى المنكب حيث توفي فيه سنة 890 هـ / 1485م[5].

لم يتميز السلطان الجديد الزغل بالحنكة السياسية والخبرة العسكرية فاندلعت الفتنة داخل العاصمة، وثار عليه حي البيازين، كما قام ملك قشتالة فرناندو بإطلاق سراح أبي عبد الله الصغير بعد أن أملى عليه شروطه، فانتقل إلى العاصمة غرناطة حيث يوجد أنصاره الذين التفوا حوله[6]، فاشتعلت حرب داخلية بين الإخوة الأعداء في 16 شوال 891 هـ / 14 ديسمبر 1486م، انتهت بانتصار أبي عبد الله الصغير في 5 جمادى الأولى 892 هـ / 29 أفريل 1487م[7]، فانتقل بذلك الزغل إلى وادي آش فبقي الانقسام يهز أركان الدولة في سنواتها الأخيرة.

---

[1] عبد الحميد العبادي : **المجمل في تاريخ الأندلس**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، 1958، ص 192.

[2] أطلق عليه الصغير تمييزا له عن عمه أبو عبد الله الزغل.

[3] المقري : **نفح الطيب** ، ج 4 ، ص 515.

[4] مؤلف مجهول :**نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، ص 37 ، 38.

[5] أحمد محمد الطوخي : **مظاهر الحضارة في الأندلس** ، ص 45.

[6] المقري : **نفح الطيب** ، ج 4 ، ص 516 ، 517.

[7] المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 519.

كان أبو عبد الله الصغير يحكم باسم ملك قشتالة وتحت حمايته، ومع هذه الأحداث سقطت العديد من مدن الأندلس مثل لوشة في 26 جمادي الأولى سنة 891 هـ / 30 ماي 1486م وبلش 892 هـ / 1487م ومالقة وبسطة في خريف سنة 892 هـ / 1487م[1]، كما سقطت مدينة المرية أواخر سنة 892 هـ / 1487م ، وبالإضافة إلى ذلك سلم الزغل مدينة وادي آش سنة 893 هـ / 1488م مقابل مبلغ من المال ثم جاز البحر إلى تلمسان[2].

لم يبق أمام الأسبان من المدن الأندلسية إلا غرناطة ، فأرسلوا إلى سلطانها أبي عبد الله يطلبون منه تسليمها ، إلا أن السلطان رفض عقب اجتماعه بالأعيان والقادة، فقرر الأسبان محاصرة المدينة في جمادى الثانية من سنة 897 هـ أفريل 1492م، كما أنشأ المحاصرون بأمر من الملكة إيزابيلا مخيما تحول إلى مدينة حصار[3].

استمر الحصار سبعة أشهر فشل خلالها الأسبان من اقتحام مدينة غرناطة، وبحلول شهر محرم 897هـ / ديسمبر 1491م، انقطعت طرق الاتصال بالخارج على الغرناطيين، فعم اليأس وانتشر الجوع والمرض فاتفق أعيان المدينة على تسليمها للأسبان، فأرسلوا الوزير أبو القاسم عبد الملك للتفاوض مع الأسبان، وبحلول الثالث من شهر صفر سنة 897هـ الخامس ديسمبر سنة 1491م تم التوقيع على معاهدة التسليم المشهورة[4]، حيث اتفق على أن يتوقف القتال لمدة سبعين يوما بعدها تسلم المدينة ، على أن يغادر السلطان أبو عبد الله غرناطة إلى منطقة البشارات، أين يمنح ضياعا يعيش من مداخيلها ويكون في طاعة الملكين[5].

---

[1] محمد عبد الله عنان : **دولة الإسلام في الأندلس** ، ج 4 ، ص 214، 215.

[2] المرجع نفسه ، 226 ، 127.

[3] يوسف شكري فرحات : المرجع السابق، ص 63.

[4] محمد عبد الله عنان : **دولة الإسلام في الأندلس** ، ج 4 ، ص 244 ، 245.

[5] يوسف شكري فرحات : المرجع السابق، ص 65.

ولم ينتظر أبو عبد الله انقضاء المدة المحددة للتسليم، فقد فتح أبواب المدينة فجر الثاني من ربيع الأول سنة 898هـ /2 جانفي 1492م فرفع الصليب فوق برج الحمراء[1]، ودخل الملكين المدينة فطويت بذلك مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي الأندلسي في شبه الجزيرة الأيبيرية.

[1] محمد عبد الله عنان : **دولة الإسلام في الأندلس** ، ج 4 ، ص 260.

**الخاتمة :**

إنّ دراسة التاريخ السياسي للأندلس عبر مراحله الممتدة من الفتح الإسلامي سنة 92هـ إلى سقوط غرناطة سنة 897هـ ليست مجرد رحلة عبر الزمن، بل هي معالجة شاملة لمسار حضاري معقد، عرفت فيه الأندلس لحظات مجد وقوة، كما عرفت مراحل اضطراب وتفكك، وتقلّبت بين الوحدة والتشرذم، والازدهار والانكماش، والقدرة على البناء والعجز عن الاستمرار. وقد بيّنت هذه الدراسة أن التجربة السياسية للأندلس لم تكن نتاج الصراع العسكري وحده، ولا وليدة التفاعلات الداخلية بمعزل عن الخارج، بل كانت حصيلة منظومة متشابكة من العوامل السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والدينية، والجغرافية، والاقتصادية، وهو ما يجعل تاريخها مادة فريدة لفهم نشوء الدول وزوالها في السياقات الإسلامية الوسيطة.

لقد أظهرت محطات التاريخ الأندلسي أنّ **الفتح الإسلامي** لم يكن حدثًا عسكريًا منفصلًا عن محيطه، بل كان امتدادًا لتوسع الدولة الإسلامية، وتفاعلًا مع واقع شبه الجزيرة الإيبيرية عشية الانهيار القوطي. ومنذ اللحظة الأولى، حمل الفتح بذورًا لمعادلة سياسية جديدة في المنطقة، أساسها التعدد الإثني والمذهبي والديني، وهو ما سيشكّل لاحقًا أحد أهم عناصر القوة والضعف في التجربة الأندلسية. فرغم قدرة الدولة الإسلامية على خلق نظام إداري وعسكري يوازن بين مكونات المجتمع، فإنّ تعدد الولاءات العرقية والقبلية ظلّ عاملًا حاضرًا في تشكيل ملامح السلطة، وفي تفجير الصراعات لاحقًا.

وتكشف هذه الدراسة أنّ مرحلة **الولاة** لم تكن مجرد فترة انتقالية، بل كانت معملًا سياسيًا تجريبياً، تشكلت فيه ملامح الصراع على السلطة، وتبلورت فيه بعضُ خطوط الانقسام الكبرى التي ستلازم الأندلس طويلًا، ومنها الصراع بين العرب والبربر، وبين اليمنية والقيسية، إضافة إلى صراعات داخلية في الجهاز السياسي نفسه. ورغم ذلك، فقد أسهمت هذه المرحلة في تمهيد الطريق لنظام سياسي أكثر استقرارًا، تجسد في مجيء عبد الرحمن الداخل، الذي أسس لواحدة من أكثر الدول الإسلامية تماسكًا في الغرب الإسلامي.

أما **العصر الأموي**، فقد كان الرئة الحضارية التي تنفست منها الأندلس، حيث شهدت الدولة في هذا العصر تجربة سياسية ناضجة، تقوم على مركزية السلطة، وتنظيم الإدارة، وتطوير المؤسسة العسكرية، وخلق توازنات اجتماعية دقيقة. وقد أظهرت مراحل هذا العصر – خاصة في عهد الناصر والمستنصر – قدرة الدولة على تحقيق ازدهار سياسي واقتصادي وثقافي فريد، أسهم في إشعاع الأندلس في حوض البحر المتوسط. ومع ذلك، فقد برهنت الأحداث أنّ قوة الدولة ليست ضمانًا دائمًا لاستمرارها؛ إذ إنّ التنافس على الخلافة، وتحالفات القصر، وتنامي نفوذ الحجابة، والضغوطات الاجتماعية في أطراف الدولة، كلّها عوامل أدت إلى انهيار الخلافة، واختفاء السلطة المركزية، ودخول الأندلس في عصر الطوائف.

ويعد **عصر ملوك الطوائف** من أهم اللحظات التاريخية التي تُبرز هشاشة البناء السياسي حين ينهار مركز القرار. فالتجزئة السياسية التي عرفتها الأندلس بعد سقوط الخلافة لم تكن مجرد حدث عرضي، بل كانت نتيجة تراكمات طويلة من الصراعات الداخلية، وانهيار مؤسسات الدولة، وتعدد القوى المتنافسة. وقد أثبتت الدراسة أنّ هذا العصر – رغم ما شهده من ازدهار ثقافي – كان من الناحية السياسية نموذجًا لنتائج غياب الوحدة، ووضوح أثر التدخل الأجنبي في تقرير المصير السياسي للأندلس. فقد استطاعت القوى المسيحية الشمالية أن تمارس ضغوطًا اقتصادية وعسكرية على دويلات الطوائف، مما عمّق التبعية وأضعف الاستقلال السياسي.

وقد جاء **المرابطون** ثم **الموحدون** ليعيدوا وحدة الغرب الإسلامي، ويوفروا عمقًا استراتيجيًا للأندلس، ويعيدوا ترميم الجبهة الإسلامية ويحدّوا من تمدد الممالك المسيحية. وتُظهر هذه المرحلة أنّ ارتباط الأندلس بالمغرب لم يكن خيارًا سياسيًا ظرفيًا، بل ضرورة جغرافية وعسكرية. غير أنّ التجربة المرابطية ثم الموحدية كشفت في الوقت ذاته عن صعوبة دمج الأندلس في مشروع سياسي موحّد على المدى الطويل، بسبب الاختلافات الاجتماعية، والتباينات الإدارية، وسرعة تغير الظروف المحلية. وقد مثّلت الهزائم الكبرى، ولا سيما في **العقاب (1212م)**، نقطة تحول مفصلية أدت إلى تراجع النفوذ الموحدي، ودفعت الأندلس نحو آخر تجلياتها السياسية.

أما **مملكة غرناطة**، فقد كانت تجربة سياسية استثنائية في التاريخ الإسلامي، جمعت بين البراعة الدبلوماسية، والمرونة الاستراتيجية، والاعتماد على التحالفات المتغيرة، والمهارة في إدارة الموارد المحدودة. وقد بينت هذه الدراسة أنّ صمود غرناطة لم يكن مجرد صدفة تاريخية، بل كان نتاج قدرة الأسرة النصرية على إدارة التوازنات الداخلية، والحفاظ على علاقات خارجية معقدة، واستثمار موقعها الجغرافي وارتباطها بالمغرب، وتوظيف شبكات التجارة الدولية. ومع ذلك، فقد أثبتت هذه المرحلة أنّ العوامل الخارجية – مثل اتحاد تاجي قشتالة وأرغون، وبناء جيش نظامي قوي، وظهور فكرة الملكية المسيحية الموحدة – شكلت ضغوطًا لا يمكن مقاومتها إلى ما لا نهاية، فكان سقوط غرناطة نهاية طبيعية لتراكم طويل من الضعف.

ومن أهم النتائج التي خلص إليها البحث أنّ التاريخ السياسي للأندلس لا يمكن دراسته بمعزل عن مصادره، خاصة أنّ هذه المصادر – التاريخية، والتراجمية، والنوازل الفقهية، والمصادر الأدبية، وكتب الجغرافيا والرحلات – قد شكلت لوحة فسيفسائية متعددة الأصوات. وقد مكّن هذا التنوع من الوصول إلى قراءة شاملة للتجربة الأندلسية، تجمع بين الروايات الرسمية، وصوت العلماء، ورأي الأدباء، ووصف الجغرافيين، وأحكام القضاة، وفتاوى الفقهاء. فالمصادر الأدبية كشفت عن الحياة الاجتماعية والسياسية في ثنايا النصوص، بينما أسهمت كتب النوازل في إضاءة الواقع القانوني والاقتصادي، وقدّمت كتب الرحلات صورة حية عن المدن والمراكز العمرانية. كما قدمت كتب المناقب والتراجم خلفية فكرية وروحية للنخب التي صنعت القرار السياسي أو أثرت فيه. وبذلك أمكن تحقيق قراءة نقدية مركّبة، تتجاوز السرد التقليدي إلى تحليل العوامل المحركة للسياسة.

وقد أثبتت الدراسة أن التجربة الأندلسية كانت نموذجًا حضاريًا متكاملًا، وأنّ السياسة لم تكن فيها معزولة عن الدين، أو المجتمع، أو العلم، أو الاقتصاد؛ بل كانت نتاج تفاعل مستمر بين هذه العناصر جميعًا. وهذا ما يجعل التاريخ السياسي للأندلس صالحًا للدرس في إطار نظريات بناء الدولة، ونظريات الاستقرار السياسي، ونظريات التحول الاجتماعي، بل وفي إطار العلاقات الدولية الوسيطة. فهو تاريخ يقدّم نماذج ناجحة في إدارة التنوع، كما يقدّم نماذج فشل ماثلة للعيان، مما يجعله مختبرًا تاريخيًا غنيًا لاستنتاج العبر والدروس.

ومن أهم الاستنتاجات التحليلية التي يمكن الوقوف عندها:

1. **أهمية القيادة السياسية الواعية** في الحفاظ على وحدة الدولة.
2. **أثر التوازن بين المركز والأطراف** في استقرار النظام.
3. **خطورة الانقسامات الداخلية** على الأمن الجماعي.
4. **دور الاقتصاد في دعم القرار السياسي** أو إسقاطه.
5. **أهمية العمق الجغرافي (المغرب) لاستمرار الأندلس سياسيًا**.
6. **تأثير التحولات الأوروبية في تحديد مصير الأندلس**.
7. **الدور الحاسم للمؤسسات (الحجابة، القضاء، الجيش، الإدارة)** في تقدم الدول أو تراجعها.
8. **أهمية النخبة العلمية بوصفها حاملة الوعي السياسي والاجتماعي**.
9. **علاقة السياسة بالثقافة والأدب**، حيث مثّل الأدباء مؤرخين من نوع آخر، ينقلون ما لا تنقله كتب السياسة.

وتؤكد هذه الخلاصة أنّ تاريخ الأندلس السياسي ليس مجرد ماضٍ منصرم، بل هو ذاكرة حضارية مشتركة، تشهد على قدرة الأمة على البناء حين تتوفر لها الشروط، وعلى هشاشة هذا البناء حين تتغلب الأنانيات والانقسامات. كما يبيّن أن التجربة الأندلسية ليست مجرد سردية "قوة ثم ضعف"، بل هي مسار طويل من التفاعل مع المراكز الحضارية المختلفة، ومسار لصياغة هوية سياسية جديدة في الغرب الإسلامي.

وإذا كان سقوط غرناطة يمثل النهاية الرسمية للوجود السياسي الإسلامي بالأندلس، فإنّ أثر الأندلس ظلّ ممتدًا في أوروبا وفي العالم الإسلامي، سواء في الفكر السياسي، أو العمران، أو الفنون، أو العلوم، أو أنماط العيش، أو الذاكرة الجماعية. وبذلك تبقى الأندلس جزءًا من التاريخ الإنساني المشترك، لا مجرد فصل من فصول التاريخ الإسلامي.

لقد حاول هذا البحث تقديم قراءة شاملة ومعمّقة للتاريخ السياسي للأندلس، تتجاوز السرد التقليدي إلى التحليل النقدي، وتستفيد من تعدد المصادر، وتبرز تداخل العوامل التي صنعت

هذه التجربة. ومع ذلك، فإنّ ما أنجز يبقى مفتوحًا على آفاق بحثية واسعة، تتعلق بدراسات مقارنة بين التجربة الأندلسية وتجارب سياسية أخرى في العالم الإسلامي أو أوروبا الوسيطة، ودراسات حول المؤسسات السياسية الأندلسية، ومستوى تطور الفكر السياسي، وأثر الثقافة العلمية في صناعة القرار، ودور الجغرافيا في تشكيل مصير الدول، وغير ذلك من المحاور التي تحتاج إلى مزيد من البحث والتعمق.

## ***المصادروالمراجع***


1- ابن الأبار أبو عبد الله بن أبي بكر القضاعي(ت658هـ/1260م) : **الحلة السيراء** ، تحقيق حسين مؤنس ، ط 1 ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة، 1963.

2- ابن الأبار أبو عبيد الله بن أبي بكر القضاعي(ت658هـ/1260م) : **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 1995.

3- ابن أبي زرع الفاسي (ت726هـ/1325م) : ***الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*** ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1972.

4- أحمد بن يحيى البلاذري (ت279هـ/892م): **جمل من أنساب الأشراف**، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1996.

5- ابن الأحمر أبو الوليد (ت810هـ/1407م): **كتاب مستودع العلامة ومستبدع العلامة** ، تحقيق محمد التركي التونسي ومحمد بن تاويت ، تطوان ، 1964.

6- الإدريسي أبو عبد الله الشريف ( ت 548هـ / 1154م) : **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، عالم الكتب ، بيروت ، ط 1 ، 1989.

7- أردشير بن بابك بن ساسان(ت242م): **عهد أردشير**، تحقيق وتقديم إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، 1967

8- الأزدي أحمد بن ابراهيم بن يحيى القشتالي (ت668هـ/1269م): **تحفة المغترب ببلاد المغرب لمن له من الإخوان في كرامات الشيخ أبي مروان**، تحقيق فرناندو دي لا جرانخا ، مدريد ، 1974.

9- الأزدي أبو محمد عبد الله (ت750هـ/1349م): **مقامة العيد** ، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الثاني، العددان 1 – 2 ، 1954.

10- ابن باق أبو الحسن علي بن محمد (ت763هـ/1362م): **زهرة الروض في تلخيص تقدير الفرض**، دراسة وتحقيق ليلى بوشعيب، رسالة ماجستير تحت إشراف

الدكتور عبد العزيز فيلالي، جامعة قسنطينة، قسم التاريخ، 2012/2011.

11- البخاري محمد بن إسماعيل الجعفي(ت256هـ/869م) : **الجامع الصحيح**، طبعة مصطفى الحلبي، مصر ، 1345هـ.

12- ابن بصال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الطليطلي (ت499هـ/1105م): **كتاب الفلاحة** ، نشر خوسي ماريا مياس بيكروسا، محمد عزيمان، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1955.

13- ابن بطوطة أبو عبد الله محمد الطجي اللواتي (ت779هـ/1377م): **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** ، نشر وترجمة ديفريمري وسانجنيتي ، باريس ، 1922.

14- أبو بكر الطرطوشي(ت520هـ/ 1126م): **الحوادث والبدع**، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1990، (دت).

15- البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/1094م): **جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، دار الرشاد للطباعة والنشر ، ط 1 ، بيروت ، 1968.

16- ابن بلقين عبد الله بن زيري ( ت 488هـ /1095م) : **مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان**، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف، مصر، 1955.

17- التنبكتي أحمد بابا أبو العباس أحمد (ت1036هـ/1627م): **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** ، ط 1، مطبعة السعادة ، طرابلس، 1329 هـ.

18- الثعالبي أبو منصور : **التمثيل والمحاضرة**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1983.

19- الجرسيفي أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف (424هـ/ 1032م) : **رسالة في آداب الحسبة والمحتسب** ، نشرت ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للدراسات الشرقية بالقاهرة، القاهرة ، 1955.

20- الجزري شمس الدين أبو الخير محمد (ت833هـ/1429م): **غاية النهاية في طبقات القراء**، نشره برجستراسر، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1980.
21- ابن جزي الغرناطي (ت471هـ/1340م): **قوانين الأحكام الشرعية** ، دار العلم للملايين ، بيروت، 1974.
22- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن(ت597هـ/1200م): **القصاص والمدكرين**، تحقيق محمد لطفي الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، 1988
23- أبو الحسن الماوردي (ت450هـ/1058م): **الأحكام السلطانية**، تحقيق أحمد البغدادي ، دار ابن قتيبة ، الكويت، 1989.
24- بن حنبل أحمد بن محمد(ت241هـ/855م) : **السند** ، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة ، دار الحديث ، 1995.
25- الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ( ت 626هـ / 1228م) : **معجم البلدان** ، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط 1 ، 1997.
26- الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت . أواخر القرن التاسع الهجري/ 15م) : **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.
27- ابن حوقل أبو القاسم النصيبي (ت367هـ/ 977م): **صورة الأرض** ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (دت).
28- أبو حيان التوحيدي : **البصائروالذخائر**، تحقيق وداد القاضي ، دار صادر، بيروت، 1988.
29- ابن حيان أبو مروان حيان بن خلف ( ت 469هـ / 1076م): **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973.
30- ابن حيان أبو مروان حيان بن خلف ( ت 469هـ / 1076م) : **المقتبس في أخبار بلد الأندلس** ، تحقيق ب شالميتا و ف كورنيطي، وم صبيح، المعهد الأسباني العربي للثقافة، وكلية الآداب جامعة محمد الخامس ، مدريد ، 1979.
31- أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي(ت745هـ/1344م) : **ديوان أبي حيان** ، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، ط1 ، بغداد، 1969.

32- ابن خاتمة الأنصاري (ت770هـ/1368م): **تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد**، منشور ضمن كتاب محمد العربي الخطابي : **الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية** – دراسة وتراجم ونصوص – دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت، 1988.

33- ابن خاتمة الأنصاري (ت770هـ/1368م) : **ديوان ابن خاتمة الأنصاري** ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دمشق ، 1972.

34- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد ( ت 776هـ / 1374م): **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1973.

35- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد ( ت 776هـ / 1374م): **تاريخ أسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام** ، تحقيق ليفي بروفنسال، ط2 ، دار المكشوفة ، بيروت ، 1956.

36- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد ( ت 776هـ / 1374م): **خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف** ، تحقيق أحمد مختار العبادي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003.

37- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد ( ت 776هـ / 1374م): **ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام** ، دراسة وتحقيق محمد الشريف قاهر ، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1973.

38- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد: **ديوان لسان الدين ابن الخطيب**، تحقيق محمد مفتاح، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1989.

39- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد: **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب**، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1981.

40- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد ( ت 776هـ / 1374م): **الزواجر والعضات**، تحقيق محمد كمال شباتة، صندوق إحياء التراث الإسلامي، الرباط، 1977.

41- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد ( ت 776هـ / 1374م): **الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ، 1963.

42- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد ( ت 776هـ / 1374م): **كناسة الدكان بعد انتقال السكان** ، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط 1 ، 2003.

43- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد ( ت 776هـ / 1374م): **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2 ، 1978.

44- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد ( ت 776هـ / 1374م): **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، 2002.

45- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد ( ت 776هـ / 1374م): **مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس**، الإسكندرية ، 1985.

46- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد ( ت 776هـ / 1374م): **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، تحقيق أحمد مختار العبادي، القاهرة، 1967.

47- ابن خلدون, عبد الرحمن بن محمد ( ت 808هـ / 1406م) : **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار ابن حزم ، بيروت ط 1، ص 2001.

48- ابن خلدون, عبد الرحمن بن محمد ( ت 808هـ / 1406م): **المقدمة** ، تحقيق أحمد الزغبي، دار الأرقم، بيروت، (دت).

49- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد (ت681هـ/1282م) : **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (دت).

50- ابن رزين التجيبي (توفي بعد 636هـ/ 1238م): **فضالة الخوان في طيبات الطعام** ، صورة من فن الطبخ في الأندلس والمغرب في بداية عصر بني مرين، تحقيق محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي ، ط 2 ، بيروت ، 1984 .

51- ابن رشد، أبو الوليد أحمد (ت520هـ/ 1126م): **كتاب الفتاوى**، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

52- الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن (ت399هـ/1009م): **لحن العامة**، تح رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر، 1964.

53- ابن الزبير أبو جعفر العاصي (ت708هـ/1308م): **صلة الصلة** ، تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد أعراب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، (د،ط)، 1995.

54- الزجالي أبو يحيى عبيد الله (694هـ/1294م) : **أمثال العوام في الأندلس** ، تحقيق محمد بن شريفة ، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، مطبعة محمد الخامس الثقافية الجامعية، فاس ، 1971.

55- السخاوي شمس الدين محمد ( ت 902هـ / 1496م) : **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، مكتبة القدس، 1355 هـ

56- السقطي أبو عبد الله محمد بن أبي محمد (ت631هـ/ 1234م) : **كتاب في آداب الحسبة**، نشر كولان وليفي بروفنسال، باريس، 1931.

57- بن سراج الأندلسي أبو القاسم محمد (ت848هـ/ 1444م): **فتاوى قاضي الجماعة أبي القاسم بن سراج الأندلسي** ، تحقيق محمد أبو الأجفان ، المجمع الثقافي ، الإمارات العربية المتحدة ، 2000.

58- ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى ( ت 685هـ / 1286م) : **كتاب الجغر افية** ، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، 1970.

59- ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى ( ت 685هـ / 1286م) : **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف، القاهرة، 1964.

60- ابن سهل أبو الأصبغ عيسى (ت486هـ/ 1093م) : **وثائق في شؤون الحسبة في الأندلس** . مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى ، دراسة وتحقيق محمد عبد الوهاب خلاف ، المطبعة العربية الحديثة ، القاهرة ، 1985.

61- الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (ت790هـ/ 1388م) : **الإعتصام** ، المطبعة التجارية، مصر، (د ت).
62- الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (ت790هـ / 1388م) : **فتاوى الإمام الشاطبي** ، تحقيق محمد بن الأجفان، مطبعة الكواكب ، ط2 ، تونس ، 1985.
63- شمس الدين الذهبي (ت748هـ/1348م): **تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر عبد السلام دمري، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1989.
64- الشنتريني أبو الحسن علي بن بسام ( ت 542هـ / 1147م) : **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 ، بيروت، 1979.
65- ابن عاصم الغرناطي أبو بكر محمد (ت829هـ/1426م): **تحفة الحكام**، مطبعة الشرق،(د.ت).
66- ابن عاصم الغرناطي أبو بكر محمد(ت829هـ/1426م): **جدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر**، تحقيق أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2014.
67- ابن عبد الحكم عبد الرحمن (257هـ/ 871م): **فتوح مصر والمغرب**، تحقيق عبد المنعم عامر، الأمل للطباعة والنشر، مصر، 1999.
68- ابن عبد ربه الأندلسي (ت328هـ/940م): **العقد الفريد**، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1983.
69- عبد الكريم بن محمد البسطي القيسي(896هـ/1491م) : **ديوان عبد الكريم القيسي**، تحقيق جمعة شيخة ومحمد الهادي الطرابلسي، بيت الحكمة، تونس، 1988.
70- ابن عبد الملك المراكشي ( ت 703هـ / 1303م): **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة** ،تحقيق إحسان عباس، ج 2 ، السفر الخامس ،دار الثقافة، بيروت، 1965.

71- عبد الواحد بن علي المراكشي (ت647 هـ/ 1229م) : **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، تحقيق محمد سعيد العريان ، طبعة لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1963.

72- ابن عبدون محمد بن أحمد التجيبي (من أهل القرن 6هـ/12م): **رسالة في آداب الحسبة والمحتسب** ، نشرت ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب،تحقيق ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للدراسات الشرقية بالقاهرة، القاهرة ، 1955.

73- أبو عثمان عمرو الجاحظ (ت255هـ/869م): **مجموع رسائل الجاحظ**، تحقيق محمد طه الحاجري، دار النهضة العربية، بيروت، 1983.

74- ابن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد ( كان حيا سنة 712هـ / 1312م): ***البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب***، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الثقافة ،ط 2، بيروت،1980.

75- ابن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد ( كان حيا سنة 712هـ / 1312م) : **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق إحسان عباس، ط 2، دار الثقافة، بيروت، (دت).

76- ابن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد (كان حيا سنة 712هـ / 1312م): **البيان المغرب في أخبارالأندلس والمغرب** – قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط 1 ، لبنان، 1985.

77- العذري أبو العباس أحمد بن عمر (ت478هـ/1085م) : **نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسلك إلى جميع الممالك**، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، 1965.

78- ابن العطار القرطبي محمد بن أحمد (ت399هـ/1009م): **كتاب الوثائق والسجلات**، تحقيق شالميتا وكورنيطي، المعهد الاسباني العربي للثقافة، مدريد، 1983.

79- أبو على إسماعيل بن القاسم القالي (ت356هـ/967م): **الأمالي**، دار الكتب العلمية، بيروت، دت.

80- العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت749هـ/1348م): **وصف إفريقية والمغرب والأندلس – مقتطف من كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، مطبعة النهضة. تونس،1339 هـ

81- ابن العوام أبو زكريا يحيا بن محمد (من أهل القرن 6هـ/12م) : **كتاب الفلاحة**، تحقيق غارسيا سانشيز وإستيفان فرناندیز ميخو، مدريد، 1988.

82- ابن غالب أبو عبد الله محمد بن أيوب (ت767هـ/1366م) : **قطعة من كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس**، منشورة في مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد 1 ، ج1، القاهرة ، 1955.

83- أبو الفرج الأصفهاني (ت356هـ/967م): **الأغاني** ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، 2002.

84- ابن القاضي أحمد المكناسي (ت1025هـ/1616م): **درة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، القاهرة تونس ، 1972.

85- ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم (ت213هـ/ 828م): **كتاب تعبير الرؤيا**، تحقيق ابراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، 2001.

86- ابن قزمان محمد بن عيسى(ت554هـ/ 1149م) : ديوان ابن قزمان، دراسة وتحقيق ف كورنيطي، المعهد العربي للثقافة، مدريد، 1980.

87- القزويني زكريا بن محمد (ت628هـ/1230م): **آثار البلاد وأخبار العباد** ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ، 1960.

88- القلقشندي أبو العباس أحمد ( ت 821هـ / 1418م) : ***مآثر الإنافة في معالم الخلافة***، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت، ط 2 ، 1985.

89- القلقشندي أبو العباس أحمد (ت 821هـ / 1418م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تحقيق محمد إبراهيم، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، (دت).

90- ابن قنفد القسنطيني (ت810هـ/1407م) : **أنس الفقير وعز الحقير** ، نشر محمد الفاس وأدولف فور ، الرباط ، 1965.

91- ابن القوطية أبي بكر (ت367هـ/ 977م) : **تاريخ افتتاح الأندلس** ، تحقيق إسماعيل العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

92- الكلساني أبو بكر بن مسعود (ت587هـ/ 1191م) : **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع** ، تحقيق علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود ، ط 2 ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، 2003.

93- ابن لب أبو سعد فرج بن قاسم (ت782هـ/1380م): **تقريب الأمل البعيد في نوازل الأستاذ أبي سعيد**، تحقيق حسين مختاري وهشام الرامي، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2004.

94- لويس سيكو ذي لوثينا (حررت الوثائق أواخر القرن9هـ/15م): **وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي**، مدريد، 1961.

95- ابن ماجة أبو عبد الله محمد القزويني (ت273هـ/886م) : **سنن ابن ماجة**، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، (دت)

96- مؤلف مجهول : **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها** ، تحقيق إسماعيل العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989.

97- مؤلف مجهول : **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، تحقيق ونشر محمد بن أبي شنب، الجزائر ، 1920.

98- مؤلف مجهول : **كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين**، نشر أويثي ميراندا، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1961- 1962.

99- مؤلف مجهول :**نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر** ، تحقيق الفريد البستاني ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2002.

100- محمد بن مخلوف (1360هـ/ 1941م): **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، (دت).
101- المدجن عبد الله بن الصباح (من القرن8هـ/ 14م): **أنساب الأحبار وتذكرة الأخيار**، تحقيق محمد بن شريفة، دار أبي رقراق، الرباط، 2008.
102- المقري أحمد بن محمد ( ت 1041هـ / 1632م): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ، 1988.
103- المقري أحمد بن محمد ( ت 1041هـ / 1632م) : **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض** ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة، (دت).
104- المقريزي أحمد بن علي (ت845هـ/1348م): **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، تحقيق محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.
105- ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد (ت711هـ/1311م): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 1955.
106- النباهي أبو الحسن علي محمد المالقي (ت أواخر القرن الثامن الهجري / 14م): **تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط 1 ، المكتبة العصرية ، بيروت، 2006.
107- أبو الوليد سليمان القرطبي: **المنتقى شرح الموطأ** ، مطبعة السعادة، مصر، 1332هـ.
108- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي (ت914هـ/1514م) : **وفيات الونشريسي** – ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات، تحقيق محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط ، 1976.
109- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي (ت914هـ/1514م) : **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب**، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1981.
110- اليعقوبي أبو العباس أحمد بن إسحاق (ت284هـ/897م) : **البلدان**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982.

## *المراجع العربية والمعربة*


1- إبراهيم القادري بوتشيش : **تاريخ العوام في مغرب العصر الوسيط بين فقر الوثائق وإمكانية التجاوز** (تاريخ الغرب الإسلامي قراءات جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة) دار الطلية ، بيروت ، 1994.

2- أحمد الطاهري : **عامة قرطبة في عصر الخلافة**، منشورات عكاظ، الرباط، 1989.

3- أحمد عزاوي : **الغرب الإسلامي في أواسط القرن الثامن الهجري** – دراسة تاريخية لديوانيات ريحانة الكتاب لابن الخطيب ، جمعية الحسن الوزان للمعرفة التاريخية، القنيطرة، 2008.

4- أحمد بن فارس : **مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام، محمد هارون، دار الفكر للطباعة، بيروت، (دت)،

5- أحمد محمد الطوخي : **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997.

6- أحمد مختار العبادي : **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس** ، ط1 ، الإسكندرية، 1968

7- أحمد مختار العبادي : **صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس**، منشأة المعارف ، الإسكندرية، 2000.

8- أحمد مختار العبادي : **في التاريخ العباسي والأندلسي**، دار النهضة العربية ، بيروت، 1981.

9- إسماعيل بن حماد الجوهري : **الصحاح في اللغة** ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين، بيروت ، 1996.

10- امحمد بن عبود : **التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف**، تطوان ، 1983.

11- أميرة حلمي مطر: **جمهورية أفلاطون** ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1994.

12- أنيس إبراهيم وآخرون: **المعجم الوسيط**، دار الفكر،(دت).

13- بنمليح عبد الإله : **ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي** ، منشورات الزمن ، الرباط ، 2002.

14- جمال يحياوي : **سقوط غرناطة ومأساة الأندلسيين** ، دار هومة ، الجزائر ، 2009.
15- حتاملة محمد عبده: **إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين** ، المكتبة الوطنية، عمان ، ط1 ، 1996.
16- حسن أحمد النوش : **التصوير الفني للحياة الإجتماعية في الشعر الأندلسي**، دار الجيل، بيروت، (دت).
17- حسن حسني عبد الوهاب : **الجمانة في إزالة الرطانة في لغة التخاطب في الأندلس وتونس لبعض علماء القرن التاسع**، القاهرة ، 1935.
18- حسين مؤنس : **فجر الأندلس** ، ط 2 ، الدار السعودية ، 1985.
19- حسين مؤنس : **رحلة الأندلس** ، مطابع كوستا تسوماس ، القاهرة ، 1964.
20- حسين مؤنس : **فجر الأندلس ، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية**، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ، 1959.
21- حسين مؤنس : **موسوعة تاريخ الأندلس** ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط 2 ، القاهرة ، 1996.
22- خالد بن ناصر بن سعيد الغامدي : **الصراع العقائدي في الأندلس خلال ثمانية قرون بين المسلمين والنصارى**، مكتبة الكوثر ، ط 1 ، المملكة العربية السعودية، 1429 هـ.
23- خوليو كارو باروخا : **مسلمو مملكة غرناطة** ، ترجمة جمال عبد الرحمن ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، 2003،
24- **دائرة المعارف الإسلامية** : مادة زرياب ج 10 ، القاهرة.
25- الدعلي محمد سعيد : **الحياة الاجتماعية في الأندلس و أثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي** ، منشورات دار أسامة ، ط 1 ،القاهرة، 1984.
26- دوزي رينهارت : **تكملة المعاجم العربية**، وزارة الثقافة والفنون، العراق، 1987.
27- سامية مصطفى محمد مسعد : **الحياة الاقتصادية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين**، مكتبة الثقافة الدينية ن ط 1، القاهرة، 2003.
28- سحر السيد عبد العزيز سالم: **ملابس الرجال في الأندلس في العصر الإسلامي- بحوث ندوة الأندلس الدروس والتاريخ**، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1994.

29- سعيد بنحمادة : **الماء والإنسان في الأندلس خلال القرنين 7و8هـ/13و14م**، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت،2007.

30- السلاوي أحمد بن خالد الناصري : **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ، القاهرة، 1894.

31- السيد عبد العزيز سالم : **تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس** ، دار النهضة العربية ، بيروت، 1988.

32- السيد عبد العزيز سالم : **تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1984.

33- السيد عبد العزيز سالم : **تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس** ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، 1985.

34- السيد عبد العزيز سالم : **مدينة المرية موطن الشيخ الزاهد أبو العباس المرسي**، مطبوعات جمعية الآثار، الإسكندرية، 1969.

35- شكيب أرسلان : **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية** ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، 1997.

36- عبادة كحيلة : **تاريخ النصارى في الأندلس** ، دار النهضة، ط 1 ، بيروت، 1996.

37- عبد الحليم حسين الهروط : **الرسائل الديو انية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر**، دار جرير ، عمان ، 2005.

38- عبد الحميد العبادي : **المجمل في تاريخ الأندلس**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، 1958.

39- عبد الرحيم العلمي : **الحركة الصوفية بالأندلس خلال القرن 8هـ**، دار الأمان ، الرباط، 2010.

40- عبد العزيز فيلالي : **بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط**، دار الهدى ، عين مليلة ، 2014.

41- عبد العزيز فيلالي : **تلمسان في العهد الزياني** ، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

42- عبد العزيز فيلالي : **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب** ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1982.

43- عبد العزيز فيلالي : **دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي**، دار الهدى، الجزائر، 2012.

44- عبد اللطيف الشادلي : **التصوف والمجتمع** ، منشورات جامعة الحسن الثاني، مطابع سلا، 1989.

45- عبد الواحد ذنون طه : **الفتح والاستقرار العربي في شمال إفريقيا والأندلس**، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، 1982.

46- عز الدين أحمد موسى : **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، دار الشروق، بيروت، 1983.

47- فهمي عبد الرزاق سعد : **العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجريين** ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1983.

48- كمال السيد أبو مصطفى : **تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين**، مركز الإسكندرية للكتاب، (دت)

49- ليفي بروفنسال : **الإسلام في المغرب والأندلس** ، ترجمة ذوقان قرقوط ، دار الفكر العربي، بيروت، (دت).

50- ليفي بروفنسال : **حضارة العرب في الأندلس** ، ترجمة ذوقان قرقوط ، مكتبة الحياة ، بيروت، (دت).

51- ليفي بروفنسال : **سلسلة محاضرات عامة في آداب الأندلس وتاريخها**، ألقاها عامي 1947و 1948، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، مطبوعات كلية الآداب جامعة فاروق الأول ، الإسكندرية، المطبعة الأميرية، القاهرة ، 1959.

52- ليوبولدو طريس بالباس : **الحواضر الأندلسية**، ترجمة الدكتور محمد يعلي ، دار أبي رقراق، الرباط ، 2007.

53- ماجد فخري : **تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون**، دار العلم للملايين، بيروت، 1991.

54- محفوظ أبي يعلا : **الفيلسوف والعامة**، موقع لغو ، 1 / 03 / 2017.

55- محمد بشير حسن : **التفاعل الحضاري بين أهل الأندلس المسلمين والإسبان النصارى في القرون الوسطى**، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002.

56- محمد العربي الخطابي : **الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية** – دراسة وتراجم ونصوص – دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت، 1988.

57- محمد الشريف : **المغرب والأندلس** – دراسات في التاريخ والأركيولوجيا، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، 2009.

58- محمد عبد الله عنان : **الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال**، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، 1961.

59- محمد عبد الله عنان : **دولة الإسلام في الأندلس**، مكتبة الخانجي ، ط4 ،القاهرة ، 1987.

60- محمد عبد الله عنان : **لسان الدين ابن الخطيب. حياته وتر اثه الفكري** ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط 1 ، 1968.

61- محمد سهيل طقوش : **تاريخ المسلمين في الأندلس**، دار النفائس، بيروت، 2005.

62- محمد كمال شبانة : **يوسف الأول بن الأحمر سلطان غرناطة** ، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، القاهرة ، 2004.

63- مرزوق محمد : **الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس** ، دار الثقافة، بيروت، (دت)

64- مريم قاسم طويل : **مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر**، مكتبة الوحدة العربية ، الدار البيضاء، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1994.

65- موفق سالم نوري : **العامة والسلطة في بغداد** ، دار الكتاب ، الأردن ، 2002.

66- واشنطن ايرقنغ : **أخبار سقوط غرناطة**، ترجمة هاني يحيى نصري ، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت ، 2000

67- واشنطن ايفرنغ : **الحمراء** ، ترجمة هاني يحيى نصري ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، 1996.

68- يوسف شكري فرحات : **غرناطة في ظل بني الأحمر. دراسة حضارية .**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1982.

**الرسائل الجامعية**

69- أحمد ثاني الدوسري : **الحياة الاجتماعية في غرناطة في عصر دولة بني الأحمر** – دكتوراه دولة، إشراف الدكتور إبراهيم حركات، جامعة محمد الخامس ، الرباط، 2002 / 2003 .

70- خالد يونس الخالدي : **اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس ( 92 – 897 هـ / 711 – 1492م)**، رسالة دكتوراه تحت إشراف الدكتور خليل إبراهيم الكبيسي، جامعة بغداد ، 1999.

71- دلال لواتي : **عامة القيروان في العصر الأغلبي** – رسالة ماجستير، إشراف الدكتورة بوبة مجاني، جامعة منتوري ، قسنطينة، 2002/2001.

72- الدهماني سالم الدهماني : **التاريخ السياسي والاجتماعي لمملكة غرناطة في ظل بني الأحمر** – دكتوراه دولة، إشراف الدكتور محمد رزوق ، جامعة الحسن الثاني ، الدار البيضاء، 2002/2001.

73- لعناني مريامة : **الأسرة الأندلسية في عصري المرابطين والموحدين**، رسالة ماجستير تحت إشراف الدكتور عبد العزيز فيلالي، جامعة قسنطينة، قسم التاريخ، 2008 / 2009.

74- ظاهر حمزة محمد : **صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر**، رسالة ماجستير إشراف حمدي منصور، الجامعة الأردنية، عمان، 2003

75- عبد القادر بوباية : **البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي**، رسالة دكتوراه إشراف الدكتور غازي جاسمم الشمري، وهران ، 2002.

76-

**المقالات**

77- أحمد محمد الطوخي : **غرناطة الإسلامية في نظر الرحالة الأجانب** - مجلة أوراق، المعهد الإسباني العربي، 1981، المجلد 4.

78- أحمد مختار العبادي : **الأعياد في مملكة غرناطة**، صحيفة المعهد المصري الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الخامس عشر ، 1970.

79- أحمد مختار العبادي : **فترة مضطربة في تاريخ غرناطة** .صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ، 1959 ، المجلد السابع والثامن.

80- أحمد مختار العبادي : **لسان الدين ابن الخطيب وكتاباته التاريخية** ، مجلة عالم الفكر ، المجلد السادس عش، العدد الثاني.

81- بيير غيشار : **التاريخ الإجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين**، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999، ج2.

82- حسن الوراكلي : **إشارات إجتماعية و اقتصادية عن مدينة المرية من خلال مصدرفقهي**، بحوث الملتقى الإسباني المغربي الثاني للعلوم التاريخية، غرناطة ، 06-10 نوفمبر 1989.

83- حسن عزوزي : **التأليف في القراءآت القرآنية وخصائصه بالمغرب والأندلس في القرن الثامن الهجري**، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول، وهران 1993.

84- دايفد وينز : **فنون الطبخ في الأندلس**، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999.

85- السيد عبد العزيز سالم : **العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها**، مجلة عالم الفكر، الكويت ، ج 1، 1984.

86- عبد الرحمن زكي : **غرناطة و آثارها الفاتنة**، المكتبة الثقافية ، العدد 276، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

87- عبد العزيز الأهواني : **ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة**، مجلة معهد المخطوطات ، المجلد الثالث، القاهرة، 1957.

88- عبد القادر الخلادي : **لمحة تاريخية وأدبية عن الحمامات في المجتمع الأندلسي** ، مجلة دعوة الحق ، العدد 9 .10، 1965.

89- فييغيرا ماريا ج : **أصلح للمعالي. عن المنزلة الاجتماعية لنساء الأندلس** – الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، تحرير سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999.

90- لويس سيكو دي لوثينا : **الوثائق العربية الغرناطية وقيمتها التاريخية**، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد السابع والثامن ، 1959 . 1960.

91- لويس سيكو دي لوثينا : **الوثائق العربية الغرناطية وقيمتها التاريخية** ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلدان السابع والثامن ، مدريد ، 1959 – 1960.

92- لويس سيكو دي لوثينا : **وثائق عربية غرناطية لم تنشر** ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلد الرابع ، العدد 1 -2 ، مدريد 1956.

93- ليوبولدو طريس بالباس : **الأبنية الإسلامية** ، ترجمة علية إبراهيم العناني . مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ، العدد الأول، السنة الأولى، 1953.

94- محمد الأمين البزاز: **الطاعون الأسود بالمغرب في القرن 14**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، العدد16، 1991.

95- محمد بن تاويت الطنجي : **المائدة الأندلسية** . مجلة دعوة الحق ، العدد 11 ، السنة الأولى ، الرباط ، 1958.

96- محمد عبد الله عنان : **فترة مضطربة من تاريخ غرناطة** ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد الخامس عشر ، 1970.

97- محمد عبد الله عنان : **وثيقة أندلسية قشتالية من القرن التاسع الهجري**، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، مدريد، العددان 1 ، 2 ، 1954.

98- نورة بنت محمد بن عبد العزيز التويجري : **الصراع بين أبناء يوسف الأول و أثره في إضعاف مملكة غرناطة**، مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية المحكمة، العدد الخامس عشر، السنة العاشرة، مكة ، 1997.

99- جيمس دكي : **غرناطة : مثال المدينة العربية في الأندلس** ، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999.